ملف المستقبل ..

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

1 ـ انفجار ..

ارتفع صوت خطوات سريعة ، لرجل يعدو بكل قوته ، عبر أحد الممرات الرئيسية ، لذلك الحصن المستقبلى ، الذى غرق أو كاد فى ظلام عجيب ، يكاد يتحوّل إلى ظلام دامس ، لولا مصابيح خضراء صغيرة ذاتية الإضاءة ، تنتشر على سقفه وبطول جدرانه ..

وعلى الرغم من أنه أحد أهم الأشخاص فى المكان ، إلا أن أحد رجال طاقم الحراسة استوقفه فى صرامة ، وهو يشهر سلاحه فى وجهه ، هاتفًا فى حدة :

ـ إلى أين ؟!

انتفض جسد الدكتور (راشد) ، رئيس مركز الأبحاث ، فى المخابرات التكنورقمية المستقبلية ، وهو يتوقف على نحو مباغت ، كاد يفقده توازنه ، وهتف وهو يلهث فى عنف ، من فرط الانفعال ، وليس من التعب :

ـ القائد الأعلى .. لابد وأن ألتقى بالقائد الأعلى فورًا .

قالها وهو يحاول تجاوز الحارس ، إلا أن هذا الأخير استوقفه فى صرامة أكثر شراسة ، وهو يجيب :

ـ ليس الآن ؟!

هتف الدكتور (راشد) فى عصبية شديدة ، وهو يجاهد لتجاوزه :

ـ لا يمكننا إضاعة لحظة واحدة .

كان الحارس يعلم جيدًا هوية الرجـل الواقف أمامه ، إلا أن الأوامر الصارمة التى صدرت إليه فى هـذه الظروف التى لم يمر بمثلها قط ، جعلته يتعامل على نحو شديد الخشونة ، وهو يقول :

ـ مستحيل !

صرخ فيه الدكتور (راشد) :

ـ قلت لك : إن الأمر عاجل للغاية .

صده الحارس مرة ثانية ، وهو يهتف :

ـ الأوامر لا تقبل المساومة .

شدَّ الدكتور (راشد) قامته فى عصبية ، وهو يصيح فيه :

ـ حتى ولو كان الثمن هو مصير الحصن كله .. مصير عالم بأسره ؟!

تلك الكلمات الضخمة جعلت وجه الحارس يشحب ، على الرغم منه ، وهو يقول بصوت منفعل :

ـ ما زال الأمر مستحيلاً .

صرخ فيه الدكتور (راشد) ، وهـو يدفعه فى حدة ، على الرغم من أن هذا يتعارض تمامًا مع طبيعته :

ـ بعد كل ما أخبرتك به ؟

تراجع الحارس فى حدة ، وهو يصرخ :

ـ نعـم .

ثم تلاحقت أنفاسه ، وكأنما بذل جهدًا رهيبًا ، وهو يضيف فى عصبية :

ـ لأن القائد الأعلى ليس هنا .

بُهتَ الدكتور (راشد) للجواب ، وامتقع وجهه ، على نحو يوحى بمدى خطورة الأمر ، وهو يقول :

ـ ليس هنا ؟! مستحيل !

قلب الحارس كفيه دون تعليق ، وغمغم فى عصبية بالغة :

ـ هذه الأمور كلها كانت تبدو مستحيلة ، قبل عودة ذلك الفريق ، ولكن ..

لم يتم عبارته ...

ولم يكن بحاجة إلى إتمامها ..

فالدكتور (راشد) فهم ..

واستوعب ..

وارتجف ..

وفى عنف ، عادت به الذاكرة إلى الوراء ..

إلى فترة بعيدة ..

فترة كان فيها ما زال شابًا يافعًا ..

تلك الفترة ، التى واجه فيها (نور) وفريقه كهفًا غامضًا ، قادهم إلى حضارة قديمة قِدَم الأزل ، تكمن فى أعماق الأرض ..

حضارة فاقت حضارتنا بآلاف السنين ..

ربما لأنها بدأت قبلها بآلاف السنين ..

أو لسبب آخر ..

سبب نجهله ..

المهم أن تلك المواجهة قد انتهت بكارثة رهيبة ..

كارثة تعرَّضت لها (مصر) كلها ..

وربما العالم أجمع ..

وباختفاء (نور) وفريقه أيضًا ..

اختفاء بدا ، لأكثر من ثلاثين عامًا ، أشبه بالموت ..

ثم فجأة ، استيقظوا ..

استيقظوا بعد غيبوبتهم فى ذلك الكهف(*) ، ليجدوا أنفسهم فى عالم آخر ..

عالم جديد ، يفوق عالمهم بأكثر من ثلاثين عامًا ..

عالم يجهلونه تمامًا ..

وبشدة ..

عالم التقوا فيه بـ (طارق) ، حفيد (نور) وابن (مشيرة) و(رمزى) ، وبأمور يجهلونها تمامًا ..

وبغموض ..

قدر هائل من الغموض ..

غموض جعلهم يحـارون فى تحديد هدفهم ، وإلى أية جهة ينتمون ..

(*) راجع قصة (المفقودون) ... المغامرة رقم (153) .

إلى عالم المخـــابرات التكنورقميـــة ، التى هى تطـــوّر حديث لمخابراتهم العلمية ، إلى من خلف أسوارها ..

ولم يكن من السهل حسم هذا الأمر ..

ولا هذا القرار ..

أمور كثيرة كانت ترتبك فى رءوس الجميع ..

القائد الأعلى الجديد ليس واضحًا ..

وليس على الأرجح بشريًا ..

وهناك المقاومة ..

وإعادة طاقة (محمود) فى جسد من (الزوريوم) الحيوى ..

واستعادة (مشيرة) ..

و ... و ... و ...

ولكل هذا ، اتخذ (نور) وفريقه قرارهم ..

قرّروا السعى خلف الحقيقة ..

وخلف أسوار حصن المخابرات التكنورقمية ..

قرّروا عبور الأسوار إلى حيث الحرية ..

والمقـــاومة ..

وربما الحقيقة ..

ولكن ذلك لم يكن سهلاً أو هينًا ..

كـــان عليهم أن يكافحوا ، ويقاتلوا ، ويواجهـــوا عالمًا يفوق زمنهم ، بأكثر من ثلاثة عقود ..

ولأنهم فريق علمى ، وعلى الرغم من احتجاز القائد الأعلى لـــ (مشيرة) زوجة (أكرم) ، فقد حاولوا ..

وقاتلوا ..

واقتربوا من النجاح ..

وفى نفس الوقـــت ، الذى كـــان فيه (محمود) الصغير ابن (نشوى) ، و(طارق) الصغير ابن (نور) ، يقاتلان مع المقاومة فى الخـــارج ، كان (محمود) الكبير ، بجسده المصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، والطاقة الهائلة التى حصل عليها من جراء هذا ، يقاتل مع (طارق) حفيد (نور) و(سلوى) ، من أجل إنقاذ الجميع ..

وفى قـــاعة مركبـــات الطـــوارئ السرية ، كانت المواجهة الحاسمة ..

القائد ، الذى يتمتع أيضًا بطاقة هائلة ، وقدرات خرافية غير أرضية ، كان يواجه الجميع ، محاولاً منعهم من الفرار من ذلك الحصن المستقبلى الرهيب ..

و(محمود) يواجهه ..

و(نور) والآخرون ينطلقـون بمركبتين غير أرضيتين ، عبر ممر الفرار إلى الخارج ، وفى ذهنهم جميعًا عدة أسئلة مخيفة ..

هل سينجحون فى الفرار ؟!..

وهل ستحملهما المركبتان إلى النجاة ؟!..

أم إلى الموت(*) ؟!..

لم يكن الدكتور (راشـد) يعلم فى الواقع ، سوى خطوط عريضة لكل هذا فحسب ..

ولكنه كان يعلم أمرًا شديد الخطورة ..

يعلم أن الطاقة الهائلة ، التى اكتسبها جسد (محمود) ، من جراء تعريض مادة (الزوريوم) الحيوى للغلاف الكهرومغناطيسى ، قد منحته قوة هائلة ..

(*) لمزيد مـن التفاصـيل راجع الأجزاء الثلاثة الأولى ، (عالم جديد) ، (وأطلال الماضى) (حرب الغد) .. المغامرات أرقـام (156) ، و(157) (158) .

قوة قد تكفى لتغيير مجرى الأحداث كلها ..

أو لتدمير ذلك العالم الجديد ..

تدميره تمامًا ..

* * *

لهث الدُّب كما لم يلهث من قبل ، وهو يلقى جسده على مقعد صغير ، لا يتناسب قـط مع ضخامته ، داخـل مقـر زعماء المقاومة ، وحاول أن يقول شيئًا للذئب .. أى شىء ..

ولكن لهاثه كان أعنف من أن يستطع إخراج كلمة واحدة من حلقه ..

ولم يطق الذئب صبرًا ، وهو يصيح به :

ــ ماذا حدث ؟!.. ماذا أصابك ؟!

لوّح الدُّب بيده ، ولهاثه العنيف ما زال يمنعه من النطق ، فهتف به الذئب يستحثه فى توتر :

ــ هل كشفوا أمرك ؟!

هزّ الدُّب رأسه نفيًا فى قوة ، وجاهد للسيطرة على انفعاله ، ولكن هذا لم يؤد إلا إلى المزيد من اللهاث ، فصاح به الذئب فى عصبية :

ــ ماذا حدث بالله عليك ؟!

على الرغم منه ، واصل الدُّب لهاثه بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن غمغم فى انفعال :

ــ لقد ظفروا به .

العبارة اللاهثة جعلت الذئب يعقد حاجبيه ، ويسأله ، وقد انتقل إليه انفعاله :

ــ من هم ؟!

خرجت الكلمة مرتجفة ، من بين شفتى الدُّب ، وهو يجيب :

ــ رجال الحصن ؟!

تراجع الذئب بحركة حادة ، وهو يتساءل :

ــ ظفروا بمن ؟!

كان يدرك الجواب جيدًا ، ولكنه لم يستطع كتمان السؤال فى أعماقه ، والدُّب يجيب ، وقد بدأ لهاثه يهدأ :

ــ الثعلب .. لقد ظفروا بالثعلب .

وازداد انعقاد حاجبى الذئب فى شدة ..

لمــاذا ؟!..

لماذا فعلها رجال المخابرات التكنورقمية ؟!..

لماذا خرجوا فى هجوم مباشر ، لأوّل مرة فى تاريخهم ؟!..

لقد اعتادوا دورياتهم المدنية فحسب ، ولم يهاجموا مباشرة قط !!

إنه ذلك الهجوم ، الذى شنه على حصنهم حتمًا ..

إنهم ينتقمون ..

ولكن هذا لا يجيب عن السؤال ، بل يطرح فى الواقع سؤالاً آخر ..

لمــاذا (محمود) ؟!..

لمــاذا ؟!..

لمــاذا ؟!..

لمــاذا ؟!..

ألأنهم رصدوا ما فعله هناك ، عند حصنهم ، وما أهّله لزعامة المقاومة فيما بعد ؟!..

أم لأنه فقط من نسل الأسطورة ؟!..

من نسل (نور الدين) ..

كان الاحتمالان قويين ، حتى إنه غمغم فى عصبية :

ــ هذا أمر خطير .

سيطر الدُّب على لهاثه أو كاد ، وهو يغمغم فى حيرة متوترة :

ــ ولكن ألم تكن ترغب فى التخلُّص منه ؟!

غمغم الذئب فى عصبية :

ــ الأمر يختلف .

سأله الدُّب ، فى حيرة أكبر ، وتوتر أكثر :

ــ فيــم ؟!

لم يدر الذئب ما إذا كان ينبغى له أن يمنحه الجواب أم لا ..

بل وإذا كان هو نفسه يدرك الجواب أم لا ..

صحيح أنه كان يسعى للقضاء على (محمود) الصغير ؛ حتى لا ينافسه فى زعامة المقاومة ، ولكن أن يسعى إليه النظام ، الذى يحكمه العالم الجديد ، فهذا أمر آخر ..

أمر يقلقه ..

ويحيِّره ..

ويخيفه ..

أمر قد لا يعنى شيئًا ..

وقد يعنى كل شىء ..

كل شىء على الإطلاق ..

* * *

توتر هائل ، ذلك الذى سيطر على مشاعر الجميع ، والمركبتان القريبتان تنطلقان بهما فى سرعة هائلة ، عبر ممر واسع طويل ، مضاء على نحو لم يشاهدوه فى حياتهم قط ..

لم يكن مضاءً بالكامل ، وإنما كان يبدو مظلمًا دومًا ، فيما عدا الجزء الذى يمرون به ..

فقط الجزء الذى يمرون به ..

كانوا كأنهم بمركبتهم ، يضيئون النفق حيثما يمرون ، أو إنه يكتسب طاقته الضوئية من المركبتين ..

ولكــن أحدهــم لم ينشغل لحظــة ؛ بهذه الظاهرة الضوئية العجيبة ..

ربما لأن أذهانهم كلها قد انشغلت بما هو أهم ..

انشغلت بمصير (محمود) ..

ومصيرهم ..

لقد تركوا (محمود) زميلهم خلفهم ، يواجه شخصًا ، تؤكِّد كل لمحة أنه ليس أرضيًّا ..

أو ليس بشريًّا على الأقل !..

تركوه وهم ينطلقون نحو مصير مجهول ..

نحو ظلام ..

ظلام دامس ..

وعلى الرغم من أن رحلتهم ، عبر ذلك الممر العجيب ، لم تستغرق أكثر من دقيقة واحدة ، فقد بدت لهم أشبه بدهر كامل ..

دهر طرحت خلاله عقولهم وحصدت عشرات الأسئلة ..

أسئلة حول ما تركوه خلفهم ..

وما سيجدونه أمامهم ..

وفى عصبية ، انتزعها من طبيعته شديدة الانفعال ، هتف (أكرم) بوجه محتقن :

ــ تبًا لهذه التكنولوجيا .

لم يكد هتافه ينتهى ، بل ربما قبل حتى أن ينتهى ، شعر الجميع بذلك الممر يتموّج بغتة ..

ثم غمره الضوء ..

ضوء طبيعى ، أتى من مصدر ما ..

لم يكن ضوء الشمس ..

أو حتى القمر ..

ولكنه بدا طبيعيًا ، متجانسًا ، هادئًا ، و ...

وعبروا ذلك الممر ..

فى لحظة واحدة ، وجدوا أنفسهم خارجه ، تسبح بهم المركبتان ، فوق أطلال مخيفة ، تمتد على مدى البصر ..

أطلال ما كان يعرف قديمًا باسم (القاهرة) الجديدة ..

وعلى الرغم منهم ، وفيما عدا (طارق) ، شهق الجميع ..

كانت المــرة الأولى ، منذ استيقظوا فى هذا الزمن ، يرون ما خلف الأسوار ..

يرون أطلال ما كان يومًا مدينتهم ..

ومستقرهم ..

وعاصمة وطنهم ..

وبالنسبة لهم ، كان المشهد رهيبًا ..

مؤســفًا ..

ومحــزنًا ..

« ماذا حدث ؟!.. »

نطقها (أكرم) فى عصبية شديدة ، قاطعًا حالة الصمت الذاهل ، فغمغم (طارق) ، وهو ما زال يحاول التحكُّم فى المركبة ، من خلال ذلك الأسلوب الملاحى الحيوى :

ــ إنها الكارثة .

سأله فى عصبية أكثر :

ــ ماذا فعلت بكل شىء ؟!

صمت (طارق) لحظات ، ثم تمتم :

ــ لست أعرف سوى ما قرأته عنها ؛ فهى بالنسبة لى مجرَّد تاريخ .

حدَّق فيه (أكرم) لحظة ، قبل أن يلتفت إلى (مشيرة) بنظرة متسائلة ، ولكنها بدت أكثر حيرة منه ، وهى تغمغم فى توتر :

ــ لست أذكر شيئًا عنها .

وأطل ذعر حائر فى عينيها ، وهى تضيف :

ــ ولست أدرى لماذا ؟!..

بدت له إجابتهما عجيبة ، فهم بإلقاء سؤال آخر ، إلا أن ارتجاجة مفاجئة للمركبة ، جعلته يهتف :

ــ رباه ! ما هذا .

هتف (طارق) بدوره ، فى توتر شديد :

ــ مستحيل .

« إنها تعود إلى الحصن .. »

هذا ما هتفت به (نشوى) فى نفس اللحظة ، وهى تحاول عبثًا التحكُّم فى نظام ملاحة المركبة الثانية ، فغمغم (رمزى) :

ــ يا إلهى !.. لماذا ؟!

ونادى على (سلوى) صوت شديد التوتر ، فى حين تساءل (نور) فى قلق شديد :

ــ ألا يمكنك منعها من هذا ؟

أجابته متوترة :

ــ كلاَّ .. يبدو أنه هناك من يتحكَّم بها من بعيد .

شهقت (سلوى) ، مغمغمة فى ذعر :

ــ القائد الأعلى .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ــ لا .. لن نعود إليه ، مهما كان الثمن .

اشترك مع ابنته ، فى محاولة السيطرة على ملاحة المركبة ، التى اتخذت مع قرينتها دورة واسعة ــ فى سـماء (القاهرة) الجديدة ، ثم انطلقت عائدة إلى الحصن ..

ومن بعيد ، من بين الأطلال ، أطلّت عشرات الرءوس ، تتابع ذلك المشهد العجيب ، الذى لم يروا له مثيلاً من قبل ..

مركبتان عجيبتان ، تدوران فى السماء ، متجهتان نحو الحصن ..

ثم فجأة ، دوى ذلك الانفجار ..

انفجار أضاء المنطقة كلها ، حاملاً رائحة مخيفة ..

رائحة الموت ..

* * *

2 ـ صـراع ..

سؤال .. ماذا يحدث عندما تتصادم طاقتان هائلتان ، وقوتان رهيبتان ، فى مساحة محدودة ؟!..

الجواب : كارثة ..

هذا ما حدث بالفعل هناك ..

فى قاعة مركبات الطـوارئ السرية ، فى قلب حصن قادة المخابرات المستقبلية ، التكنورقمية ..

فهناك ، وبعد انطلاق مركبتى أفراد الفريق مباشرة ، التمعت عينا القائد الأعلى على نحو مخيف ، وهو يقول لـ (محمود) :

ــ هل تتصوّر أن الأمر قد انتهى عند هذا ؟!..

حاول (محمود) شحن كل قوته داخله ، وهو يجيب فى حزم :

ــ الآن على الأقل .

استدار القائد الأعلى يواجهه ، فى شراسة رهيبة ، وهو يهتف :

ــ هـراء ..

وعقب قوله هذا ، ارتجّ الحصن كله ارتجاجة بالغة العنف ..

ارتجاجة ناشئة عن تصادم طاقتين رهيبتين ..

طاقة (الزوريوم) الحيوى ، مع كل ما يحمله من شحنة هائلة ..

وطاقة القائد الأعلى ..

المجهولة ..

وفى غرفة القيـــادة ، ومع فقـــدان الجميع لتوازنهم ، تشبَّث (هيثم) بأحد الأجهزة فى قوة ، وهو يهتف :

ــ ماذا يحدث ؟!

نهض أحـــد العلمـــاء من سقطته ، وأشـــار إلى شاشة رصد أمامه ، وهو يجيب فى توتر هائل :

ــ الجهاز سجَّل طاقة هائلة هنا .. فى هذه النقطة .

حدَّق (هيثم) فى تلك النقطة على الخريطة ، وهو يتساءل فى حيرة عصبية :

ــ وماذا يوجد عند هذه النقطة ؟!

تردَّد العالم لحظة ، قبل أن يجيب ، فى صوت خافت مضطرب :

ــ لا شىء .

التفت إليه (هيثم) بنظرة غاضبة ، فاستدرك فى سرعة :

ــ المفترض أنه لا شىء .

سأله فى حدة :

ــ أى قول أحمق هذا ؟!

أسرع العالم يضغط أحد الأزرار بسبابة مرتجفة ، وهو يقول :

ــ هذا ما تقوله الخارطة الرقمية للحصن .

مرة أخرى حدَّق (هيثم) فى الشاشة ، وكأنه يرى الخريطة الرقمية للحصن للمرة الأولى فى حياته ..

نعم .. فى النقطـــة ، التى يفترض أن ذلك الارتجاج العنيف قد انبعث منها ، لايفترض أن يوجد شىء ..

أى شىء ..

ولأنه كان يتصور أنه أكثر من يعرف ما يدور فى الحصن ؛ لقربه الشديد من القائد الأعلى ، فقد أدهشه هذا وحيَّره .

وأغضبه أيضًا ..

ومع تلك المشاعر المتضاربة ، شدّ قامته ، وقال فى صرامة شديدة :

ــ فلنعلم ماذا هناك إذن .

قالها وقد اتخذ فى أعماقه قرارًا حاسمًا وخطيرًا ..

خطيرًا للغاية ..

وفى نفس اللحظة ، التى اتخذ فيها هذا القرار ، كان (محمود) ينهض فى صعوبة ؛ ليواجــه القائد الأعلى ثانية ، فى حين كان هذا الأخير يبدو أكثر تماسكًا ، وهو يتجه نحوه ، قائلاً :

ــ تصوَّرت أن الطــاقة التى اكتسبتها ، داخل قفص الطاقة ، ستجعلك قادرًا على هزيمتى ... أليس كذلك ؟!

وقف (محمود) على قدميه ، وهو يقول فى حزم :

ــ من يدرى ؟!

رفع القائد الأعلى راحته نحوه ، وهو يهتف فى غضب :

ــ أنــا .

مع هتافه ، انطلقت من راحته موجة ارتجاجية عنيفة ، أصابت (محمود) فى صدره ، ودفعتــه إلى الخلف بقوة هائلة ، جعلته يرتطم بالجدار ، الــذى تموَّج فى عنف ، ليتجاوزه جسده ، ويرتطم بالجدار المواجه ، فى الممر الخارجى ..

وفى صدره ، تكوَّنت فجوة عجيبة ..

فجوة أشبه ببحيرة صغيرة من الزئبق ..

ولدهشته شخصيًا ، استعادت تلك الفجوة تماسكها فى سرعة ، وأعادت تكوين ذلك الجزء من جسده ..

بل وأمدته بطاقة مدهشة ، جعلته يهب واقفًا على قدميه ، ويتجه نحو الجدار ، الذى عاد يتكوَّن مرة أخرى ، فألصق راحتيه به ، وترك طاقته تصنع تلك التموّجات فيه مرة أخرى ، ليختفى جزء منه ، وتظهر ثانية تلك القاعة السرية ..

كان القائد الأعلى داخلها ، يمرِّر يده على الجدار ، على نحو عجيب ، ظهرت أثره كرات هولوجرامية سابحة ، تتموَّج مع حركات يده ، وكأنها تؤدى دورًا ما ..

وفى هدوء ظافر ، وبعينين تلتمعان ، استدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى ظفر :

ــ سيعودون .

انعقد حاجبا (محمود) ، وهو يقول :

ــ إلا إذا .

قالها ، واندفع بكل قوته وسرعته نحو تلك الكرات الهولوجرامية ، ووثب ، والقائد الأعلى يصرخ فى غضب :

ــ أيها المجنون !

ودوى الانفجار ..

على نحو رهيب ..

* * *

« ما هذا ؟!.. »

قفز الدُّب من مكانه فى ذعر ، مع دوى الانفجار ، الذى تردَّد فى عنف ، عبر الأطلال القديمة كلها ، وهو يهتف بالكلمة ، فهتف الذئب بدوره ، وهو يندفع نحو أحد جدران الوكر :

ــ شىء ما انفجر .

هتف به الدُّب فى فزع :

ــ السؤال هو : أى شىء ؟!

أزاح الذئب جزءًا من الجدار ، لتظهر خلفه شاشة رصد ، مرَّر يده على جزء منها ، وهو يقول :

ــ سنعرف .

أضيئت الشاشة ؛ لتنقل صورة للحصن ، وقد انبعث مزيج من نار ودخان ، من جزء منه ، مما جعل الدُّب يهتف :

ــ إنه الحصن .. عجبًا !.. هذا لم يحدث قط من قبل .

انعقد حاجبا الذئب فى شدة ، وهو يقول :

ــ ماذا يحدث بالضبط ؟!.. قوات الحصن تخرج فى مهمة هجومية ، وصفارات الإنذار تنطلق هناك ، وانفجار لم نر مثله من قبل !!.. ترى ماذا يحدث ؟!

قال الدُّب فى انفعال :

ــ فلنتصل برجلنا هناك ؛ ليخبرنا بما يحدث .

ازداد انعقاد حاجبى الذئب ، وهو يقول :

ــ الأمر ليس بهذه البساطة .

هتف الدُّب :

ــ ولِمَ لا ؟!.. ما فائدته ، إن لم يخبرنا بما يحدث هناك .

قال الذئب فى حدة :

ــ إنه يخبرنا .

وصمت لحظة ، انخفض خلالها صوته ، وهو يضيف :

ـ وقتما يشاء .

بدا الجواب عجيبًا مبهمًا ، بالنسبة للدُّب ، فغمغم حائرًا مرتبكًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

ازداد الذئب عصبية ، وهو يقول :

ـ يعنى أن الأمر مرهون بإرادته .. يتصل بنا عندما يرغب ..

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

أو عندما يستطيع .

لم يزد الجواب الدُّب سوى حيرة ، جعلته يقلب كفيه ، قائلاً :

ـ ولكن .. ألا توجد وسيلة للاتصالات ؟!.. أية وسيلة ؟!

عضّ الذئب شفته السفلى فى حنق ، وهو يجيب ، وقد تضاعفت عصبيته ألف مرة :

ـ كلاَّ .

اتسعت عينا الدُّب فى دهشة مستنكرة ، فى حين استطرد الذئب ، وهو يشيح بوجهه عنه :

ـ إننى حتى لا أعرف من هو .

بلغ اتساع عينى الدُّب أقصاهما ، وهو يهتف ذاهلاً :

ـ لا تعرفه ؟!

التقط الذئب نفسًا عميقًا عجيبًا ، وقال وقد امتزجت عصبيته بمرارة شديدة ، وحيرة لم يعهدها فيه الدُّب أبدًا :

ـ لست أدرى حتى كيف علم أننى زعيم المقاومة ، ولا لماذا أجرى اتصاله بى ... ولا حتى لماذا يمدنى ويمدنا بكل معلومة جديدة داخل الحصن .

هتف الدُّب فى عصبية :

ـ ولكن ألا تخشى والحال هكذا ، أن يكون ...

قاطعه الذئب فى حدة :

ـ لا .. لست أخشى هذا .

عقد الدُّب حاجبيه الكثين فى شدة ، وهو يطبق شفتيه الغليظتين فى غضب ، فى حين تابع الذئب فى عصبية :

ـ لو أنه ينشد شرًا ، لما بقينا هنا ، حتى هذه اللحظة ؛ لأنه يعرف من نحن ، ويجد دومًا وسيلة للاتصال بنا فى أية لحظة ، وكان بإمكانه إرشاد رجال الحصن إلينا فى أية لحظة ، ولكنه أبدًا لم يفعل .

قال الدُّب ، وجسده الضخم كله يرتج من الانفعال :

ــ ولا يوجد ما يمنعه من أن يفعل .

استدار إليه الذئب فى حدة :

ــ قلت : لن يفعل .

بدا الدُّب غاضبًا متوترًا ، وهو يكبت مشاعره بالكاد ، قبل أن يقول فى عصبية ، عجز عن كتمانها :

ــ وماذا عن الآن ؟!.. أليست فرصة مناسبة ؛ ليخبرنا بما يحدث هناك ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، دوت فوق رءوسهم فرقعة قوية ..

فرقعة تؤكد أن الليلة لن تمضى ، دون أن تضيف مفاجآت جديدة ..

وعديدة ..

* * *

لم تكن هناك وسيلة واحدة ، لمنع تلك المركبتين ، من العودة إلى حصن المخابرات التكنورقمية ، التى تحكم هذا العالم الجديد ..

لقد حاول (طارق) ، وحاولت (نشوى) ..

حاولا ..

وحاولا ..

وحاولا ..

وباءت كل محاولاتهما بالفشل التام ..

وواصلت المركبتان انطلاقهما ، نحو الحصن ..

وفى يأس ، قلبت (نشوى) كفيها ، قائلة :

ــ لا فائدة .. لم تعد تلك الأجهزة الحيوية تستجيب مطلقًا ..

إنهم يعيدوننا إلى الحصن ، على الرغم منا .

هتفت (سلوى) مذعورة :

ــ يا إلهى !.. سيعيدوننا ، بعد كل هذا ؟!

أمسك (نور) يدها ، وهو يقول فى توتر :

ــ المفترض أنه لا أحد يعلم حتى بوجود تلك المركبات ، سوى القائد الأعلى ..

هتف (رمزى) فى توتر :

ــ أتعلم ما يعنيه هذا يا (نور) ؟!

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تقول :

ــ يعنى أن (محمود) قد ... قد ...

قبل أن تتم عبارتها ، دوى الانفجار فجأة ..

وارتجت المركبتان مع دوى الانفجار ..

ثم حدث ما هو أسوأ ..

لقد فقدتا توازنهما ..

وسقطتا ..

وفى هلع ، صرخت (مشيرة) :

ــ رباه !.. إننا نهوى .

ضمها (أكرم) إليه بحركة آلية ، وكأنه يحاول حمايتها ، وهتف بـ (طارق) :

ــ افعل شيئًا .

« أفعل ماذا ؟!.. إنها لا تستجيب .. »

هتفت (نشوى) بالعبارة فى ذعر ، وهى عاجزة عن السيطرة على مركبتها ، التى تهوى نحو الأطلال فى سرعة ، فوثب (نور) يزيحها من مكانها ، وهو يقول فى حزم :

ــ دعينى أحاول .

لم يكن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله مع أجهزة كهذه ، تفوق عصره ، وتفوق حتى الزمن الذى يحياه مرغمًا ، ولكنه يدرك أنه يستطيع أن يفعل شيئًا واحدًا لا شك فيه ..

شىء تدرَّب عليه ، وطوَّره مع مرور الزمن ...

يستطيع أن يتمالك أعصابه ، فى أحلك المواقف وأصعبها ..

حتى عندما يواجه الموت ..

الموت نفسه ..

ومع تمالكه لأعصابه ، وضع يده على تلك الكرة فى هدوء ، والتقط نفسًا عميقًا ، ثم أدارها فى نعومة ..

وعلى نحو مدهش ، استجابت له تلك الأشكال الهولوجرامية ، وتراصت كلها فى خط متجانس ، و ...

واستعادت المركبة توازنها ..

ولكنها لم تتوقَّف عن السقوط ..

وفى انفعال ، هتفت (سلوى) :

ــ هل سننجو ؟!

أجابها فى حزم :

ـ أتعشّم هذا .

هتف (رمزى) ، وهو يشير إلى المركبة الثانية ، التى ما زالت تهوى نحو الأطلال :

ـ وماذا عنهم ؟!

ولم ينطق (نور) بحرف واحد ..

فقط راقب فى توتر تلك المركبة الثانية ، وهى تهوى ..

وتهـــوى ..

وتهـــوى ..

وأطلق عقله السؤال نفسه ..

ماذا عنهم ؟!..

مـــاذا ؟!..

* * *

على رأس فريق من رجاله ، اندفع (هيثم) ، عبر شبكة الممرات السفلية للحصن ، نحو تلك البقعة ، التى صدر عنها ذلك الارتجاج العنيف ، الذى لم يشهد المكان مثله من قبل ..

لم يكن قد تلقى أمرًا بهذا من القائد الأعلى ..

ولم يكن يدرى حتى أين القائد الأعلى ..

ولكنه اتخذ قراره ..

ووضعه موضع التنفيذ ..

ثم إن هناك أمرًا آخر ، يدفعه إلى ما يقوم به ..

لغز تلك النقطة ، التى يفترض ألا يكون بها شىء ، وفقًا للخرائط الرقمية ، والتى بها حتمًا شىء ما ، أطلق ذلك الارتجاج العنيف ..

لغز استفز عقله وتفكيره ، ودفعه للبحث ، و ...

فجأة ، انبعثت من مكان فى الممرات دفعة هائلة من الطاقة ، أضاءت الممرات كلها ، وشعر معها هو ورجاله وكأن موجة ما قد ضربت وجوههم وأجسادهم فى عنف ، حتى إنهم توقّفوا ، وهتف أحدهم :

ـ ما هذا ؟!

لم يكن تساؤله قد اكتمل بعـد عندما دوت فرقعة مكتومة ، واندفع إثرها جسد (محمود) خارج الجدار ، ليرتطم بالجدار المقابل للممر ، ثم نهض أمام العيون الذاهلة ، وبدا كأنه قد أناب جزءًا من الجدار ، واندفع داخله ، ودوى صوت القائد الأعلى ، وهو يصرخ :

ــ أيها المجنون !

ثم دوى انفجار رهيب ..

انفجار نسف جزءًا من الجدار المقابل ، وصنع فجوة فى سور الحصن ، اشتعلت فيها النيران ..

انفجار أطـاح بـ (هيثم) ورجاله فى عنف ، وكاد يمزق آذانهم ، قبل أن ينهض هو ، هاتفًا فى ذعر :

ــ ماذا يحدث ؟!.. ماذا يحدث ؟!

كان المكان غارقًا فى دخان كثيف ، حاول (هيثم) أن يخترقه ، وهو يلوّح بمسدسه ، صائحًا فى رجاله :

ــ اتبعونى .

لم يسمع نصفهم ما قاله ، ولم يستطع النصف الآخر النهوض لتتبعه ، ولم يشعر هو حتمًا بهذا ، وهو يتجه نحو منطقة الانفجار ، و ...

وفجأة ، وجد القائد الأعلى أمامه ..

وانتفض جسده فى عنف ..

فلوهلة ، بدا له جسد القائد الأعلى متألقًا ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

ثم خُيِّل إليه أن عينيــه قد خدعتاه ؛ فقد بدا له جسد القائد الأعلى عاديًا ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟!

حاول (هيثم) أن يجيب فى صــعوبة ، ولكن الكلمات انعقدت فى حلقه ، وهو يحدّق فى القــائد الأعلى ، الــذى كرر سؤاله بصرخة هادرة ، جعلت جسده ينتفض مــرة أخرى ، وهو يهتف فى سرعة :

ــ خشيت أن ...

قاطعه القائد الأعلى بصرخة مستنكرة :

ــ خشيت ؟!

تراجع (هيثم) فى خوف ، مغمغمًا :

ــ أقصد أن .. أن ..

قاطعه مرة أخرى ، بصرخة حملت كل غضب الدنيا :

ــ اذهب .

وعلى الرغم من وجود رجاله ، انطلق (هيثم) يعدو مبتعدًا ، وتبعه رجاله فى سرعة ، كما لو أنهم كانوا يتمنون هذا ، وتابعهم القائد الأعلى ببصره فى غضب ، ثم استدار عائدًا إلى قاعة مركبات الطوارئ ..

وعاد جسده يتألق ..

كانت القاعة فى حالة يرثى لها ، على الرغم من أن المركبة الإضافية بقيت سليمة ، وكأنما لم يمسها الانفجار بسوء ..

أما (محمود) ، فكان ملقى أرضًا ، مفتوح العينين ، وكأنما لفظ أنفاسه الأخيرة ..

وفى بطء ، اتجه القائد الأعلى نحوه ، حتى وقف إلى جوار جسده تمامًا ، وقال فى صرامة :

ـ لن تدرك أبدًا ما الذى تسبَّبت فيه .

ثم استدار ينظر إلى الممر ، الذى فر منه (نور) ورفاقه ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن هذا لن ينقذهم .

فرد مساعده أمام وجهه ، فبرز سوار معدنى ، يلتف حول

معصمه ، وتلتمع فيه عدة نقاط ، مس منها نقطتين فى سرعة ، فاستحال لونهما ، من الأصفر الفسفورى إلى الأحمر الدموى ..

ثم راحتا تتألقان بوميض منتظم ، يتسارع مع مرور الوقت ..

ومع تألقهما ، التمعت عينا القائد الأعلى ..

لقد أطلق موجة تفجيرية خاصة ..

موجة تكفى لنسف مركبتى (نور) ورفاقه ..

بمنتهى القوة .

* * *

3 ـ الرهينـــة ..

« لا يوجد سوى احتمال واحد .. »

نطقها (نور) فى حزم ، وهو يبذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على انفعاله ، وعلى ثبات يده ، على تلك الكرة الملاحية ، فى محاولة لتوجيهها إلى حيث يشاء ..

كانت مركبة تواصل هبوطها ، ولكن على نحو منتظم ، بخلاف مركبة (طارق) ، التى راحت تهوى على نحو مخيف ..

وفى ارتياع ، هتفت (نشوى) :

ـ (طارق) .. ابنى .

وارتجف جسد (رمزى) ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ولكن لسانه عجز عن النطق بحرف واحد ، فى حين تجمّدت (سلوى) فى مكانها ، وهى تحدق فى مركبة حفيدها ، وهى تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

(نور) وحده ظل محتفظًا بتماسكه ، وهو يحرّك راحته فوق تلك الكرة على نحو جعل المركبة تندفع بسرعة أكثر نحو الأرض ، فصرخت (سلوى) فى ذعر :

ـ ماذا تفعل يا (نور) ؟!

لم يحاول إجابتها ، وهو يوجّه مركبته فى هبوطها نحو مركبة (طارق) ..

وأدركـت (نشوى) ما يحاول فعله ، أو أنها تصوَّرت هذا ، وهى تغمغم :

ـ رباه !.. أمن الممكن أن ...

ولم تتم عبارتها ، وخفق قلبها فى عنف ، ما بعده عنف ، عندما مال (نور) بالمركبة على نحو حاد ، لينطلق بها مع انخفاضها ، نحو مركبة (طارق) ..

أو أسفلها ، على وجه الدقة ..

ومن بين الأطلال ، شاهد الجميع مشهدًا مذهلاً ..

ومبهرًا ..

إلى أقصى حـد ..

لقد اتجه (نور) بمركبته إلى أسفل مركبة (طارق) ، ثم اعتدل فى وضع أفقى ..

وفى اللحظة المناسبة تمامًا ..

ومع تلك المناورة العبقرية الجريئة ، انزلقت مركبة (طارق) على مقدّمة مركبة (نور) ، ثم استقرت مع سقوطهما فوقها ..

وهنا واصل (نور) الهبوط ، ومركبته تحمل مركبة (طارق) فوقها ..

ومع سرعتهما ، لم يشعر الجميع بعنف ارتطام ، وإنما فقط بهزة قوية ، جعلت (أكرم) يهتف :

ـ رباه !..

التفت إلى (مشيرة) بعينين متألقتين ، مستطردًا :

ـ لقد فعلها !

ثم جرفه حماس قوى ، جعله يحتضنها فى قوة ، صارخًا :

ـ لقد فعلها (نور) ... فعلها .

كانت المركبتان تواصلان هبوطهما السريع ، وإحداهما تعلو الأخرى ، على نحو مذهل ، جعل جميع من يقطنون الأطلال يطلقون شهقات قوية ، من فرط الانفعال والانبهار ، فى حين حاول (نور)

أن يتخذ مسارًا بين الأطلال ، بحثًا عن منطقة خالية ، أو شبه خالية ، يمكنه الهبوط فيها ..

كان ذلك الضوء العجيب يغمره ، وهو يتجه نحو ما بدا له كحديقة قديمة ، لم يذكر وجودها فى ذلك الموقع من قبل ..

وفى سرعة ، واصلت المركبتان هبوطهما ، ولكن بزاوية آمنة نسبيًا ، والأرض تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم حدث الارتطام ..

ارتطم بطن مركبة (نور) بالأرض ، وزاد ثقل مركبة (طارق) فوقها من عنف الارتطام ، وتناثر الغبار حول المركبتين فى عنف ، وهما تزحفان فوق أرض شبه رطبة ، فصرخت (سلوى) :

ـ فعلناها .. نجونا يا (نور) .. نجونا .

لم يحاول إجابتها هذه المرة أيضًا ، وهو يشحذ كل ذهنه للتركيز على محاولة إيقاف المركبة ، حتى هتفت (سلوى) :

ـ ارفع يدك عن الكرة يا أبى .. ارفعها .

لم يدر كيف ينتبه إلى هذا ، ولكنه رفع يده على الفور ، وما إن فعل حتى توقفت تلك الأشكال الهولوجرامية داخلها عن الحركة ..

وبدأت سرعة المركبتين تنخفض ..

وتنخفض ..

وتنخفض ..

ثم فجأة ، وقبل أن تتوقفا ، أضيء مصباح أزرق فوقهما ، وراح يتألق على نحو سريع ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو ينظر إليه ، فى حين غمغم (رمزى) فى توتر :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

أما رجال المقاومة وباقى سكان الأطلال ، فقد أسرعوا نحو تلك الساحة الرطبة ، ووقفوا فى حذر عند حدودها ، يراقبون المركبتين ، و ...

وفجأة دوى الانفجار ..

ومرة أخرى شهق الجميع ..

فقد كان الانفجار مفاجئًا ..

وقويًا ..

بحق ..

* * *

انتفض جسد الذئب فى عنف ، مع دوى الانفجار ، ودوت فى رأسه مشاعر ومخاوف شتى ، امتزجت بذلك التوتر العجيب ، الذى يملأ كيانه على نحــو مدهش ، منذ حادثة الهجوم على الحصن ، فى حين صرخ الدُب مذعورًا :

ــ قتلوهم .

هتف به الذئب ، فى خشونة شديدة :

ــ لا تقــل هــذا .

التفت إليه الدُب فى توتر شديد ، وبدا من الواضح أن كلمات كثيرة تحتبس فى حلقه ، وأن أفكارًا أكثر تشتعل فى رأسه ، وإن ظل صامتًا ، مذعور العينين ، على نحــو أجبر الذئب على أن يستعيد حزم الزعامة ، وهو يشد قامته ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه الثائرة ، قائلاً بلهجة شديدة الصرامة ، ربما يحاول أن يخفى بها عصبيته :

ــ أرسل فريقًا إلى موقع الانفجار ، وليعد إلينا بكافة المعلومات عما حدث ، وفريقًا آخر إلى منزل الثعلب .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة أشد :

ــ أريد أن أعرف أية أمور تلك ، التى تشتعل الليلة .

ثم شرد بصره على نحو عجيب ، وهو يضيف :

ــ وماذا يدبر رجال الحصن ، بعد هجومنا الفاشل عليهم ؟! ماذا ؟!

« تدبير غبى .. »

هتف القائد الأعلى بالعبارة فى غضب هادر ، فى وجــه (هيثم) ، الذى امتقع بشدة ، وهو يغمغم فى ارتباك شديد :

ــ ولكننى تصوَّرت ...

قاطعه القائد الأعلى ، بصرخة غاضبة مستنكرة ومستهجنة :

ــ تصوَّرت ؟!..

تراجع (هيثم) فى اضطراب شديد ، وامتقع وجهه أكثر ، فى حين تابع القائد الأعلى بنفس الغضب ، وقد اشتعلت عيناه :

ــ أمثالك لا يحــق لهم أن يتصوَّروا ، أو أن يتخذوا القرارات وحدهم .. أمثالك عليهم فقط أن يطيعوا .. وينفذوا .. فقط الطاعة والتنفيذ .. فقط ..

غمغم (هيثم) فى توتر شديد ، محاولاً تبرير موقفه :

ــ ولكنهم جرءوا ، ولأوّل مرة ، على مهاجمتنا يا سيِّدى ،

والمتغير الوحيد الذى حدث ، هو ضمهم لحفيد (نور) وابنه إلى زعماء المقاومة ،واعتقال الاثنين سوف ...

جاءت صرخة القائد الأعلى أشبه بالإعصار هذه المرة ، وهو يصرخ فى وجهه مباشرة :

ــ ألم تستوعب الموقف بعد .

فى هذه المرة ، لم يكن اشتعال عينيه مجازيًا ..

لقد رأى (هيثم) ، فى وضوح ، ولمحة من اللهب تطلّ منهما ..

وللحظــة ..

لحظة واحدة ، بدت له خلالها عينا القائد الأعلى أشبه بآتونين ملتهبين رهيبين ..

ثم تلاشى هذا فى سرعة ..

ولكن (هيثم) أقسم فى أعماقه أنه ليس واهمًا ..

لقد رأى اللهب ..

رآه فى وضوح ..

وانتفض جسده كله فى ذعر ..

بل فى رعب ..

رعب شديد ، جعله يلزم الصمت تمامًا ، ويتراجع مذعورًا ، والقائد الأعلى يواصل ، فى غضب هادر :

ــ أنا وحدى هنا أفهم كيف تدار الأمور .. وحدى أعرف متى نهاجمهم ، ومتى نتركهم يهاجمون .. أنا وحدى أعرف لماذا وكيف ومتى نفعل هذا .. أما أنت وأمثالك ، فلستم سوى أداة تنفيذية .. قطع شطرنج ، على لوحة كبيرة ، أديرها أنا ..

ثم مال نحوه بشدة ، حتى إن (هيثم) التصق بالجدار ، فى حركة غريزية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى عينى القائد الأعلى ، الذى بدا له أشبه بوحش مخيف ، وهو يسأله ، فى صرامة غاضبة :

ــ هل سمعت فى عمرك كله ، عن قطعة شطرنج ، تمتلك إرادة الحركة ؟!..

هزَّ رأسه نفيًا بسرعة ، وحاول لحظات أن ينطق شيئًا ما ، ولكن حلقه الجاف منعه من هذا ..

ولم يكن القائد الأعلى ينتظر منه ردًّا فى الواقع ، فقد ظل يحدق فى عينيه مباشرة لحظة ، ثم أولاه ظهره بحركة مباغتة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً فى صرامة :

ــ وأين (محمود) الآن ؟!

بذل (هيثم) جهـدًا خرافيًّا ، حتى أمكن لكلماته أن تتجاوز حلقه الجاف ، وتعبر شفتيه المرتجفتين ، لتندفع :

ــ وفى الطريق إلى هنا .. الرجال عائدون به .

صمت القائد الأعلى لحظات ، وهو ما زال يوليه ظهره ، ثم قال فى حزم صارم :

ــ فليكن .

قالها ، واندفع عائدًا إلى حجرته ، وقبل أن يتموَّج جدارها ، التفت إلى (هيثم) بحركة حادة ، ارتجف لها هذا الآخر ، وقال بلهجة آمرة قوية شرسة :

ــ أخبر الدكتور (راشد) أن ينفذ ما أمرته به فورًا .

أومأ (هيثم) برأسه إيجابًا ، وجسده كله يرتجف ، فتابع القائد الأعلى ، وهو يلمس الجدار ، الذى بدأ تموجاته على الفور :

ــ وفى المرة القادمة ، إذا ما عاودت هذه الحماقة ، لن يدور بيننا أبدًا حديث كهذا .

ثم التفت إليه بنظرة تشتعل على نحو رهيب ، وأضاف فى بطء مخيف :

ــ فالموتى لا يتحدثون .

وانتفض جسد (هيثم) مرة أخرى .

انتفض بقوة ..

بمنتهى القوة ..

* * *

لم ينبس (محمود) الصغير بحرف واحد ، منذ ألقى رجال الحصن القبض عليه ، وحتى لاح له الحصن نفسه ، على بعد كيلومترات قليلة ..

كان كل ما يشغله ، وهو يتجه إلى مصير يجهله ، هو سؤال واحد ..

ماذا عن (طارق) الصغير ؟!..

هل ألقوا القبض عليه أيضًا ؟!..

هـل ؟!..

ثم ماذا سيفعلون به ؟!..

ولماذا هو ؟!..

لمـاذا ؟!..

على الرغم من تلك الأسـئلة ، التى ملأت أعماقه كلها ، ظلّ صامتًا متماسكًا على نحو عجيب ..

كان قد ورث من جـده (نـور) الصلابة والعزيمة ، والروح القيادية الحاسمة المتوهجة ..

ومن والده (رمزى) ، موهبته الشديدة فى سبر أغوار البشر ، والغوص حتى أعمق أعماق الطبيعة البشرية ..

ومن أمه (نشوى) ، ذلك الذكاء المقـد ...

باختصار ، كان أعظم امتداد لجده ..

لـ (نور) ..

بطل التحرير(*) ..

الأسطورة ..

وفى حزم ، يأبى عليه الخضوع لأعدائه ، شدّ (محمود) قامته ، على الرغم من كونه رهينة بين أيديهم ، ورفع رأسه فى اعتداد ، ...

« قـف .. »

قالها قائد المجموعة فجأة ، فتوقف الجميع دفعة واحدة ، وجذب أحدهم (محمود) الصغير فى عنف ؛ ليجبره على الوقوف ، فجذب (محمود) كتفه فى قوة ، قائلاً فى صرامة :

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (76) .

ــ إياك أن تفعلها .

نطقها بلهجة آمرة أدهشت الرجل ، فاندفع نحوه ، وهو يلوّح بقبضته ، هاتفًا فى غضب :

ــ أيها الـــ ...

استعد (محمود) بوقفة غريزية متأهّبة ، ولكن قائد المجموعة قال فى صرامة شديدة :

ــ هــدوء .

خفض الرجل قبضته على الفور ، ولكن (محمود) احتفظ بوقفته المتأهبة لحظات ، أدهشه خلالها أن الجميع قد اتخذوا وقفة عسكرية صارمة ، فى حين بدا قائدهم وكأنه شارد ، يحدق فى الفراغ ، وكأنه ينصت إلى شىء ما ..

ثم انتبه فجأة إلى أنه ينصت بالفعل إلى شىء ما .

كان هناك جهازًا بالغ الدقة فى أذنه ، من الواضح أنه يستقبل من خلاله إشارة ما ..

أو أمرًا ما ، أولاه كل اهتمامه وتركيزه ، قبل أن يغمغم بكلمات خافتة ، لم يسمعها (محمود) الصغير ، ثم يعتدل ، قائلاً فى صرامة :

ــ سنتجه بالرهينة إلى الحصن مباشرة .

لم يفهم رجاله أو حتى (محمود) ما يعنيه هذا ..

إنهم يتجهون إلى الحصن مباشرة بالفعل منذ البداية ؟!..

فما الجديد ؟!..

ما الذى أتت به هذا المحادثة السرية القصيرة ؟!..

مــاذا ؟!

ولكن أحدًا لم ينتظر ليتساءل ، وإنما استعدوا كجنود لتنفيذ الأمر فورًا ، ولكن قائدهم أضاف فى حزم :

ــ فقط ستنتظرون هنا بضع دقائق ، وسأصطحب رجلين إلى الحصن ، لإجراء استعدادات خاصة ، أمر بها القائد الأعلى ، قبل وصول الأسير .

مرة أخرى لم يفهم أحد ..

ولم يعترض أحد ..

وفى حزم وسرعة ، انتقى قائد المجموعة رجلين ، واستقل معهما مركبة الدورية ، وأشار إلى الباقين ، قائلاً :

ــ لا يتحرك أحد ، حتى نعود .

أجابوه بتحية عسكرية قوية ، فانطلق مع الرجلين مبتعدًا ..

وسرى قلق شديد فى عقل وجسد (محمود) الصغير ..

لقد بدا له الأمر عجيبًا ، مما وضع أمامه احتمالاً مخيفًا ..

احتمال أنهم يرتبون لإجراء عنيف ..

إجراء جعلهم يقسمون الفريق إلى قسمين ..

قسم يعود إلى الحصن ..

وآخر يبقى معه ..

الأكثر منطقية ، كان أن يذهبوا به إلى الحصن ، ويبقى بعضهم ؛ لاصطياد من قد يتبعهم ..

فلماذا حدث العكس ؟!..

إلا إذا ..

أقلقه أكثر ، وانتزعه من أفكاره ، التفات الجنود إليه ، وكأنهم يتأهبون لفعل شىء ما ..

وتضاعف قلقه ، عندما استعدوا بأسلحتهم ..

وأيقن من أنه كان محقًا ..

لقد اتخذوا قرارًا بتصفيته ..

وهنـــا ..

وسط الأطلال القديمة ، المطلة على الحصن ..

شخص آخر فى موقفه ، كان سيرتجف رعبًا وهلعًا ..

أما هو ، فقد شدّ قامته ، واتخذ وقفة حازمة ، وفرد صدره فى اعتداد ، وكأنما يعلن لهم أنه حتى الموت لن يدفعه إلى الاستسلام ..

لقد قاتل كزعيم ..

وسيموت كزعيم ..

وفى صمت متحفز ، على نحو يوحى بأنهم أيضًا ينصتون إلى شىء ما ، تحفز الرجال بأسلحتهم الترددية ، و ...

ودفعة واحدة ، ارتج المكان كله بترددات قوية ..

عنيفـــة ..

وقاتلة ..

* * *

على الرغم منه ، انتفض جسد الدكتور (راشد) انتفاضة مكتومة ، تمنى لو أن أحدًا من زملائه لم يلمحها فى توتره ، وهو يحدق فى جسد (محمود) الساكن أمامه ، وفى عينيه المفتوحتين ، على نحو يوحى بأنه قد فارق الحياة ، فى حين غمغم عالم آخر :

ــ فقص الطاقة مرة أخرى ؟!

أشار إليه الدكتور (راشد) فى توتر ، قائلاً :

ــ لا .. ليس مرة ثانية .

غمغم آخر :

ــ إنه يبدو لى صريعًا .

هزّ الدكتور (راشد) رأسه فى عصبية ، وهو ما زال يحدق فى جسد (محمود) ، قائلاً :

ــ لا تجعل المظاهر تخدعك .. ربما لا تجد لديه نبضًا أو تنفسًا ، أو أية علامات حيوية معروفة ، ولكن تذكروا جميعًا لأننا لا نتعامل مع جسد بشرى ..

تمتم العالم الأوّل فى توتر :

ــ إننا لا نعلم حتى مع ماذا نتعامل !

أجابه فى حدة :

ــ مع (الزوريوم) الحيوى .

هزّ أحد العلماء كتفيه ، قائلاً :

ــ وما معلوماتنا حتى عن ذلك (الزوريوم) الحيوى .. إننا نحاول دراسته وفهمه ، منذ أكثر من ربع القرن ، وما زال يدهشنا كل يوم !

كان الدكتور (راشد) يعلم تمامًا أنه على حق ، وعلى الرغم من هذا فقد قال مفتعلاً الصرامة :

ــ نحن علماء ، والمفترض ألا يدهشنا شىء .

أجابه أحدهم فى حذر :

ــ على العكس .. إننا علماء ؛ لأنه أمور كثيرة تدهشنا ، وتدفعنا إلى فهمها .

مرة أخرى ، كان ذلك الرجل أيضًا على حق ..

إنهم علماء ، لأن هناك الكثير مما يدهشهم ويحيرهم ..

وعلى عكس باقى البشر ، فهم لا يتوقفون قط عند الدهشة أو الحيرة ..

إنهما على العكس ، المحفزان الرئيسيان لعقولهم ..

فعندهما يبحثون ..

ويدرسون ..

ويختبرون ..

ويعلمون ..

ويبتكرون ..

ويخترعون ..

لهذا هم علماء ..

ولكن ذلك الراقد أمامه ، كان يمثل تحديًا ، لم يمر هو شخصيًا بمثله من قبل قط ..

إنه تحد لكل القوانين المعروفة علميًا ..

تحد لقانون الطبيعة ..

وقوانين الفيزياء ..

وعلم الأحياء ..

والجيولوجيا ..

تحد سافر ، ما زالوا يحاولون مواجهته ، وما زال ينجح فى إدهاشهم فى كل يوم ..

بل فى كل لحظة ..

دار ذلك الخاطر فى ذهنه ، فسارع بطرده ، وهو يقول بتلك الصرامة ، التى يحاول بها دومًا إخفاء توتره :

ــ هذه المرة سنستخدم كل الوسائل المعروفة لدينا ؛ لنعزله عن أية مصادر للطاقة .

غمغم أحدهم مترددًا :

ــ هل نضعه داخل خزانة من الرصاص مثلاً(*) ؟!

هزّ آخر رأسه نفيًا فى شدة ، وقال :

ــ هذا كفيل بقتله خنقًا .

انعقد حاجبا الدكتور (راشد) ، وهو يقول فى عصبية :

ــ هذا لو أنه يتنفس مثلنا .

قلّب أكبرهم سنًا كفيه ، وهو يقول فى توتر :

(*) الرصاص : عنصر فلزى ثقيل ، يعتبر من أقدم المعادن ، التى استخدمها الإنسان ، لونه فضى خفيف إذا كان حديث القطع ، يصبح داكنًا بتعرضه للهواء ، يستخدم فى الصناعات ، وهو عازل لمعظم أنواع الإشعاعات .

ـ كيف سنسيطر عليه إذن ، لو أننا نجهل ماهيته ؟!..

ماذا لو زدنا من قوته ، كما فعلنا فى المرة السابقة ؟!

لم يحر الدكتور (راشد) جوابًا هذه المرة ، وبقى يحدق فى جسد (محمود) ، الساكن كتمثال من الشمع ، و ...

وفجأة ، هتف أحدهم :

ـ يا إلهى !.. المؤشرات .. انظروا !

وفى حركة متناغمة مذعورة ، التفت الجميع التفاتة رجل واحد ، إلى حيث يشير ..

ثم اتسعت عيونهم كلها عن آخرها ، فى نفس اللحظة التى ارتجفت فيها أجسادهم فى شدة ..

فما يحدث ، وما هتف من أجله زميلهم ، وما أورثه ذلك الذعر ، الذى نطق به عبارته ، كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

وبكل المقاييس .

* * *

4 ـ العـودة ..

من المؤكّد أن قاطنى تلك الأطلال القديمة ، التى كانت يومًا واحدة من أعظم مدن العالم ، قد عاشوا ليلة ، من أعجب ليالى حياتهم ، على الرغم من كل ما واجهوه من قبل ..

ليلة حلّقت فيها مركبتان عجيبتان ، لم يروا مثيلاً لهما قط ، فوق رءوسهم مباشرة ..

وكانتا تخرجان من ذلك الحصن ، الذى صار بالنسبة لهم رمزًا للقهر والطغيان والديكتاتورية ..

وكانتا تهويان ..

وعلى نحو مخيف ..

ثم فجأة ، قامت إحدى المركبتين بمناورة مدهشة ..

مناورة يمكن أن يقصُّوها على أحفادهم فى انبهار ، حتى آخر لحظة من حياتهم ، التى قد تطول أو تقصر ، فى ظل تلك الظروف المأساوية ، التى يعيشون فيها ..

وعلى الرغم مما أثارته تلك المناورة فى نفوسهم من انبهار ، واصلت المركبتان هبوطهما ، حتى ارتطمتا بالأرض ، وقد زاد ثقلهما المشترك من عنف الهبوط ، ولكن كان من الواضح أن المركبتين

مصنوعتان من مادة أكثر قوة ، من المواد المعروفة فى عالمهم ، فمع عنف الارتطام ، وانزلاق المركبة العلوية إثره ، لتزحف لمسافة كبيرة ، لم تتحطما ..

بل ولم يمسهما خدش واحد ..

وبعدها ، دوى الانفجار ..

وتضاعف انبهار القاطنين ، ممتزجًا بفزعهم وذعرهم ..

والمدهش أن الفزع والذعر لم يكونا السبب الرئيسى لانبهارهم .

بل هو ما حدث قبله بلحظات ..

ففور سقوط المركبتين ، وارتطامهما بالأرض ، وانزلاق إحداهما ، انفتحت أبوابهما ، ووثب منها فريق كامل ..

(نور) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ، و(رمزى) ، و(أكرم) ، و(طارق) ، و(مشيرة) ..

وثبوا من المركبتين فى آن واحد تقريبًا ، ثم انطلقوا مبتعدين عنهما ، و ...

ودوى الانفجار ..

دوى ليرج المنطقة كلها ، وليقذف (نور) وفريقه أمامه ، لمسافة عشرة أمتار كاملة ..

على الأقل ..

ومع ارتطامهم بالأرض ، جاءت ظاهرة أخرى أكثر عجبًا ، لتضاف إلى ذاكرة قاطنى الأطلال ، وتحفر نفسها فيها بقوة ..

لقد انفجرت المركبتان ، ودوى انفجارهما فى عنف ، ورج المنطقة كلها ..

ولكن لم تكن هناك أية شظايا ..

ولا حتى شظية واحدة ..

المركبتان انفجرتا ، ثم تلاشيتا تمامًا ، وكأنهما تبخرتا فى الهواء ، أو لم يكن لهما وجود من الأساس ..

وارتطم أفراد الفريق بالأرض ، وصرخت (مشيرة) ، من فرط الألم والذعر ، فوثب (أكرم) ، والدماء تنزف من جبهته ، واحتواها بين ذراعيه ، هاتفًا :

ـ أأنت بخير ؟!

التصقت به ، وغمغمت مع آلامها :

ـ ما دمت بين ذراعيك .

نهض (نور) فى اللحظة نفسها ، يتفقد زوجته ، التى كانت تتأوّه فى ألم ، وابنته ، التى كتمت آلامها بإرادة مدهشة ، وهى تغمغم ، دون أن تستطيع النهوض من الأرض :

ـ أبى .. أمى .. أأنتما بخير ؟!

نهض زوجها (رمزى) فى صعوبة ، ومد يده إليها ، يعاونها على النهوض ، وهو يقول :

ــ كلنا بخير .

امتدت إليها يد ابنها (طارق) فى اللحظة نفسها ، وهو يلهث فى انفعال ، مضيفًا :

ــ ما دمنا معًا .

راح الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض ، وكأنهم لا يصدقون أنهم قد نجوا من كل هذا ، وتمتم (نور) :

ــ الجميع بخير ؟!

أجابته (سلوى) :

ــ حمدًا لله .

أما (أكرم) ، فقد قال فى توتر ، ويده تبحث فى حركة غريزية ، عن مسدس يفتقده كثيرًا :

ــ يبدو أنه لدينا لجنة استقبال يا رفاق .

التفت الكل فى توتر إلى حيث يشير ، ثم تضاعف توترهم بقفزة واحدة إلى ألف ألف ضعف ..

فهناك ، أمامهم وحولهم ، كان يقف حشد كبير ..

حشد من قاطنى الأطــلال ، يطــل عليهم بجيش جرار ، من عيون ذاهلة ، متسائلة ، ومبهورة ..

والواقع أن أفراد الفريق أنفسهم ، باستثناء (طارق) و(مشيرة) ، كانوا فى قمة دهشتهم ..

ربما لأنهم لم يتصوروا قط ذلك الفارق الرهيب ، الذى تفصل به أسوار الحصن من داخله عمن خارجه ..

لم يتصوروا قط أن يتحول عالمهم إلى هذا المشهد المخيف ، من الأطلال ، وقاطنيها ، الذين انحفر الإجهاد والقهر والعذاب على وجوههم ، ورسم أبشع آياته فى نظراتهم ..

ولثوان ، ساد صمت رهيب من الجانبين ، وكل جانب منهما يحدق فى الجانب الآخر مأخوذًا ومبهورًا ..

ثم غمغم أحد سكان الأطلال ، بكل ما يملأ نفسه من انفعال :

ــ إذن فقد كانت الشائعة صحيحة .

وأضافت امرأة عجوز ، وصوتها يكاد يرقص طربًا وانبهارًا :

ــ لقد عادوا .

وأضاف شيخ شبه متهالك :

ــ ما زال هناك أمل .

ومرة أخرى ، ارتجت المنطقة كلها ..

ارتجت بهتاف واحد ، أطلقته حناجر كل من تواجد فى تلك اللحظة ، من قاطنى الأطلال ..

هتاف يحمل اسم (نور) ..

الأسطورة ..

بطل التحرير ..

والأمل ..

وكان هذا إعلانًا جماهيريًا ، بوصول (نور) وفريقه الفعلى إلى ذلك العالم الغامض المخيف ..

عالم الغد ..

الجديد ..

* * *

« الأمر لم ينته بعد .. »

نطقها القائد الأعلى بصوت عجيب ، ولا يشبه الأصوات المعروفة والمسجلة على الأرض ..

صوت أشبه بالفحيح ، ولكن له رنة عجيبة ..

ومخيفة ..

كان يقولها ، كما لو أنه يحدّث نفسه ، ولكن الواقع أنه كان هناك شىء عجيب يحدث فوق رأسه ، فى حجرته الخاصة ..

كانت هناك ما يشبه دوّامة متموجة متواصلة ، تحتل جزءًا من السقف ، ومن منتصفها يسقط ضوء عجيب ، يتبدل على نحو هادٍ ، بين الأخضر الباهت ، والأرجوانى ، ويعمره تمامًا ، وهو يواصل :

ــ ما زالت أجهزتنا قادرة على رصد كل ما يحدث هناك ، ولقد رصدت وصولهم إلى الأطلال ، واحتفاء قاطنيها بهم ..

وصمت لحظات ، وكأنه يستمع إلى شىء ما ، قبل أن يقول :

ــ لا .. لم يحن الوقت للتدخُّل بعد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ــ فلندع اللعبة تكتمل .

راح الضوء يتموج على نحو أكثر سرعة ، فغمغم :

ــ مازلت أؤمن بأن هذا أفضل .

ثم شدّ قامته ، وبدا شديد الصرامة ، وهو يضيف :

ــ وسأتحمل بالطبع المسئولية الكاملة .

انبعث ذلك الصوت الأنثوى الهادئ من الجهاز الآلى داخل حجرته ، يقول :

ــ الرائد (هيثم) ، يطلب الإذن بالدخول .

تباطأت سرعة تموجات الضوء ، وهو يقول :

ــ امنحيه دقائق ثلاث ، ثم اسمحى له بالدخول .

قالها ، ثم أشار براحته إلى السقف ، فخفت ذلك الضوء ، وتوقفت تموجاته ، قبل أن يتلاشى تمامًا ..

ومع تلاشيه ، انتقلت التموجات إلى وجهه ، الذى راح يتبدّل على نحو عجيب ؛ ليستعيد هيئته البشرية ، قبل أن يجلس خلف مكتبه ، ويرسم على وجهه علامات الصرامة والقسوة ..

وينتظر ..

ثوان ، وانتقلت عدوى التموّج إلى الجدار ، قبل أن يدخل الرائد (هيثم) ، وهو يقدّم قدمًا ويؤخر أخرى ، ويقول فى حذر :

ــ الرائد (هيثم) يا سيدى .

سأله فى قسوة واضحة :

ــ ما أخبار ذلك الفريق ، الذى أرسلته لأسر حفيد (نور) .

ارتجف صوت (هيثم) ، على الرغم منه ، وهو يغمغم :

ــ المفترض أن يصل فى أية لحظة .

كان ينوى الاكتفاء بهذا ، ولكن تلك النظرة الصارمة ، التى أطلّت من عينى القائد الأعلى المخيفتين ، جعلته يستدرك فى سرعة :

ــ لقد أبلغونى أنهم نجحوا فى أسره ، و ...

قاطعه فى شراسة :

ــ وماذا ؟!

استشعر (هيثم) ، من هذا الأسلوب الحاد ، أنه هناك ما غاب عن ذهنه ..

أو عن معلوماته ..

وهذا أكثر خطورة ..

وفى خفوت ، أجبرته عليه ارتجافته ، تمتم :

ــ المفترض أن ..

مرة أخرى ، قاطعه القائد الأعلى فى عنف ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، ويقف بحركة حادة ، جعلت (هيثم) يتراجع بنفس الحدة ، وأجبرت الدماء على الفرار من وجهه ، والقائد الأعلى يتجه نحوه ، مستطردًا :

ـ لقد أمرت قائد فريقك بالعودة مع مساعديه ، وترك باقى الفريق مع حفيد (نور) هناك .. وسط الأطلال .

امتقع وجه (هيثم) أكثر ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وانفرجت شفتاه ، على نحو أورثه مظهرًا أقرب إلى البلاهة ، عجز معه عن النطق بحرف واحد ، ولم يمنحه القائد الأعلى حتى فرصة لهذا ، وهو يميل نحوه ، على نحو جعله مضطرًا للتحديق فى عينيه مباشرة ، وهو يسأله ، فى صوت مخيف ، أشبه بفحيح أفعى عملاقة :

ـ هل تعلم لماذا ؟!

لم تبد له عينا القائد الأعلى أبدًا أشبه بجمرتين من نار ، كما بدتا فى هذه اللحظة ، حتى إن جسده كله ارتجف بشدة ، وانتقلت ارتجافته إلى حلقه ، فواصل عجزه عن النطق ، واكتفى بهز رأسه نفيًا ، فتراجع القائد الأعلى ، فى حركة شديدة الحدة ، قائلاً :

ـ لهذا لا ينبغى لك أن تتخذ أية قرارات ، دون الرجوع إلىَّ .

كـان من العسير جـدًا أن تخرج الكلمات من حلق (هيثم) الجاف ، ولكنه بذل جهدًا خرافيًا ، ليتمتم :

ـ إننى أعتذر .

صاح فيه القائد الأعلى :

ـ لا تعتذر أبـدًا .

انتفض (هيثم) بشدة ، حتى خُيِّل إليه أنه سيفقد وعيه ، وهو يقول :

ـ ماذا علىَّ أن أفعل إذن ؟!

أدهشه هو نفسه أن يصيبه كل هذا الرعب ، وهو الذى يعتبر نفسه ، ويعتبره رفاقه ، من أشجع رجال الأمن فى المخابرات التكنورقمية كلها .. ولكن هذا يتلاشى تمامًا ، عندما تلتقى عيناه بعينى القائد الأعلى ..

عندما يشتعل بلهيبهما ..

ويحترق بحممهما ..

ولكن ، وعلى الرغم من دهشته ، عاد جسده ينتفض ، بأشد من ذى قبل ، عندما صرح فيه القائد الأعلى ، فى شراسة رهيبة :

ـ تطيع الأوامر .

ثم تراجع ، وأولاه ظهره ، عائدًا إلى ما خلف مكتبه ، مضيفًا :

ــ ودون مناقشة .

حاول (هيثم) عبثًا ازدراد لعــابه ، ولكن حلقه الشبيه بصحراء قاحلة منعه من هذا ، فغمغم بصوت متحشرج :

ــ وماذا عن الفريق ؟!

رمقه القائد الأعلى بنظرة صارمة أخرى ، فتابع فى صعوبة :

ــ ماذا سيصيبه ؟!

صمت القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يجيب فى لهجة أقرب إلى الوحشية :

ــ سيواجهون الحياة الطبيعية .

وعاود صمته لحظة أخرى ، قبل أن يضيف :

ــ بكل تعقيداتها .

ومع خوفه وتوتره وحيرته ، لم يفهم (هيثم) شيئًا ...

أى شىء ..

* * *

بجهد بالغ ، كتم الذئب مشاعره الحقيقية فى أعماقه ، وهو يستقبل فريق (نور) ، هاتفًا فى تزلُّف :

ــ من يصدق أن هذا قد حدث ؟!

قالها ، فاتحًا ذراعيه عن آخرهما ؛ لضم (نور) ، ولكن هذا الأخير مد يده على امتدادها لمصافحته ، وهو يقول :

ــ الحياة علمتنا أن كل شىء يمكن حدوثه .

توقَّف الذئب لحظة ، وقد أدهشه وأغضبه ذلك الأسلوب الرسمى ، الذى تعامل به (نور) معه ، ثم لم يلبث أن مدَّ يده يصافحه ، وهو يحاول رسم ابتسامة على شفتيه ، قائلاً :

ــ معذرة .. نسيت تقديم نفسى إليكم أوَّلاً .

هتف الدُّب فى حماس :

ــ إنه الذئب ، زعيم كل فصائل المقاومة .

بدت الدهشة على وجوههم ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، على نحو يوحى بأن هذا لم يرق له ، فى حين غمغم (أكرم) فى توتر مستنكر :

ــ ذئب ؟!

أسرع الذئب يقول ، وهو يلوّح بيده ، على نحو مسرحى .

ــ مجرَّد لقب ، أحمى خلفه سرية العمل .. لقب لازمنى لسنوات طوال ، حتى إننى نسيت اسمى الحقيقى .

رمقه (نور) بنظرة متفرِّسة ، فى حين تساءل الدُّب فى لهفة :

ــ لقد قفزت عبر الزمن .. أليس كذلك ؟!

غمغم (رمزى) :

ــ يمكنك أن تصف ما حدث بهذا .

شمله حماس طفولى عجيب ، لا يتناسب مع ضخامته ، وهو يلوّح بذراعيه فى الهواء ، هاتفًا :

ــ الكل هنا يؤكد هذا ، وخاصة بعد أن رأوكم تصلون فى مركبتى زمن .. لقد فعلتموها من قبل .. أليس كذلك ؟!

تبادل الجميع نظرة صامتة ، قبل أن يلتفتوا إليه ، فى حين انعقد حاجبا الذئب فى توتر ، وهو يقول فى صرامة محتدّة :

ــ اصــمت .

احتقن وجه الدُّب ، وهو يقول فى عصبية :

ــ أنا أيضًا زعيم من زعماء المقاومة .

غمغم (أكرم) ، فى لهجة بدت شبه ساخرة :

ــ حقـًا ؟!

تزايدت عصبية الدُّب ، وهو يقول :

ــ هناك أربع فصائل للمقاومة ، والذئب زعيم إحداها ، وزعيم زعماء الفصائل أيضًا .

قال (نور) ، وهو يشدّ قامته فى حزم :

ــ أظننا سنحتاج إلى معرفة هذا بالتفصيل .

تابع الدُّب بنفس العصبية ، وكأنه لم يسمعه :

ــ ابنك وحفيدك أيضًا زعيمان .

خفق قلب (نشوى) فى قوة ، فى حين تساءلت (سلوى) فى انفعال :

ــ (محمود) و(طارق) الصغيران ؟!.. أين هما ؟!.. كيف أصبحا الآن .

حاول الدُّب أن يجيبها ، ولكن الذئب أمسك يده فى قوة ، ليجبره على الصمت ، وهو يقول :

ــ يؤسفنى أن لدى أخبارًا غير سارة بشأنهما .

شهقت (سلوى) فى ارتياع ، ووضعت (نشوى) كفيها على نصف وجهها السفلى ، وهى تردّد :

ــ لا .. ليس هما .. لا .

وهتف (رمزى) :

ــ ماذا لديك يا رجل ؟! أفصح .

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، فى حين التصقت به (مشيرة) فى خوف ، مما يمكن أن تسمعه ، وشدّ (طارق) قامته بحركة غريزية ، وكأنه يستعد لقتال مبهم ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى صعوبة :

ــ ماذا أصابهما ؟!

أشار الذئب بيده ، مجيبًا :

ــ دورية من الحصن هاجمت منزليهما .

هتف (طارق) فى دهشة :

ــ من الحصن ؟!.. هذا لم يحدث من قبل قط !!

وافقه الذئب بإيماءة من رأسه ، واصطنع تنهيدة مأساوية ، وهو يقول :

ــ لكل شىء بداية .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ــ أو نهــاية .

رمقه الذئب بنظرة صامتة متوترة ، ثم قال فى بطء :

ــ أظن أنه بعد عودتكم ، من الطبيعى أن تنتقل الزعامة إلى ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ــ كل شىء سيبقى على ما هو عليه .

انتفض (أكرم) فى عصبية ، وهو يقول :

ــ ماذا تقول يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) ، مجيبًا فى حزم :

ــ المقاومة ليست قضيتنا يا صديقى .. لدينا قضية أكبر ، تحتاج إلى كل جهدنا .

سألته (سلوى) فى حذر متوتر :

ــ قضية (طارق) و(محمود) الصغيرين ؟!..

التفت إليها ، مجيبًا :

ـ بل القضية الأكبر .

وشدّ قامته فى اعتداد ، مضيفًا :

ـ قضية الحصن ، وما يحيط به من غموض .

بدت الدهشة على الدُّب ، وهو يقول :

ـ هل ستترك ابنك وحفيدك لمصيرهما ؟!

أجـابه (نور) ، وهو يبذل جهدًا خرافيًّا ؛ للسيطرة على أعصابه :

ـ قضية الحصن ، هى قضية هذا الزمن ، بكل ما فيه ، ومن فيه .

هتفت (نشوى) معترضة :

ـ ولكنهما ...

قاطعها بغتـة أزيز قـوى ، انطلق فى المكـان ، وسرى معه التوتر فى نفوس الجميع ، والذئب يهتف فى انزعاج :

ـ وخيـل .

استل الدُّب خنجره الكبير ، وانعقد حاجباه الكثَّان فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، واندفع نحو المدخل ، و ...

وفجأة ، انفتح باب المقر السرى لزعماء المقاومة ..

وتراجع الجميع بحركة حادة !..

ثم كانت (مشيرة) أوّل من هتف :

ـ مستحيل !..

فما رأوه جميعًا أمامهم ، كان بكل معنى الكلمة ، مفاجأة ..

مفاجأة مثيرة ..

للغـاية ..

* * *

« لست أستطيع الفهم !!.. »

غمغم (هيثم) بالعبارة ، فى توتر شديد ، فرفع القائد الأعلى عينيه إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ ولن تستطيع !

تراجع (هيثم) ، وهو منزعج للغاية ؛ فلأوّل مرة ، بدا له القائد الأعلى مختلفًا تمامًا عما عرفه ، وكأنه تحوّل فجأة إلى شخص آخر ..

شخص مخيف ..

مخيف للغاية ..

وفى لحظة ، قفز إلى ذهنه تساؤل مرعب ، لم يلبث أن أخفاه فى جزء ما من أعماقه ، وهو يقول :

ــ بالفعل يا سيِّدى .. فى الآونة الأخيرة ، لم يعد باستطاعتى فهم أى شىء .

صمت لحظة ، استرجع عقله خلالها أحداث اليوم كله ، قبل أن يكرِّر فى خفوت :

ــ أى شىء .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه بحركة حادة ، وهو يقول :

ــ لا أحد يطالبك بالفهم .

تراجع (هيثم) خطوة أخرى ، وهو يتحاشى النظر إلى

وجه القائد الأعلى وعينيه ، وهذا الأخير يضيف ، فى صرامة شديدة :

ــ فقط بالطاعة .

غمغم (هيثم) ، وهو يشعر ، ولأوّل مرة أيضًا ، بمرارة عجيبة فى أعمق أعماقه :

ــ أنا رهن إشارتك .

شد القائد الأعلى قامته ، ودار حول مكتبه ، وهو يقول :

ــ اسحب كل القوات من الأطلال .

على الرغم منه ، اتسعت عينا (هيثم) ، وهتف :

ــ فى هذه الظروف .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، فى شراسة غاضبة مخيفة ، جعلت (هيثم) يتراجع عن سؤاله ، مغمغمًا فى توتر :

ــ سمعًا وطاعة .

راح القائد الأعلى يدور فى المكان ، ويقول ، وكأنه يحدّث نفسه :

ـ أريد أن تهدأ الأمور تمامًا الليلة ، ولثلاث ليالٍ تالية .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى قسوة :

ـ حتى أصدر أمرى بعكس هذا .

غمغم (هيثم) ، وهو عاجز تمامًا عن الفهم :

ـ كما تأمر يا سيدى .

عاد إلى صمته لحظة ، ولكن سؤالاً ملحًا سيطر على ذهنه ، ولم يستطع منعه من القفز إلى شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ وماذا لو لم يلتزموا هم بهذا ؟!

تألقت عينا القائد الأعلى ، أو اشتعلتا على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ إنهم يحتاجون إلى هذا ، بأكثر ما نحتاج إليه .

غمغم (هيثم) فى تردُد :

ـ وفقًا لاستراتيجيات القتال ، كان ينبغى أن نطرق الحديد ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وكأنه يخشى من رد الفعل ، فعاد القائد الأعلى يجلس خلف مكتبه ، ويقول :

ـ أنا سأختار اللحظة المناسبة .

لم يكد ينطقها ، حتى صدر أزيز جهاز الاتصال ، وارتسمت صورة هولوجرامية لوجه الدكتور (راشد) ، وهو يقول فى انزعاج :

ـ سيِّدى .. لن تصدِّق ما يحدث هنا .

وانتبه القائد الأعلى ، وانتبهت كل حواس (هيثم) ؛ فاللهجة والأسلوب ، اللذين استخدمهما الدكتور (راشد) ، لإلقاء عبارته ، كان يوحى بأنه يواجه كارثة ..

كارثة رهيبة .

* * *

5 - زوريـوم ..

لثوان ، عقـدت المفاجأة ألسنة الجميع ، داخل مقر زعماء المقاومة ، ووقـف الجميع يحدقون فى القادمين ، بكل دهشة الدنيا ، قبل أن تقطع (نشوى) حاجز الصمت ، وهى تندفع نحو أحد القادمين ، هاتفة :

ــ (محمود) .. ابنى .

لم تكن قد رأت ابنها الصغير منذ تركته هناك ، فى زمنها ، إلا أنه لم يكن من العسير على الجميع ، بلا استثناء ، تعرُّف الصغيرين ، (طارق) و(محمود) فى شبابهما ..

فـ (طارق) الصغير كان نسخة طبق الأصل ، من والده (نور) ، مع عينى أمه (سلوى) وحنانهما ..

أما (محمود) الصغير ، فقد بدا وكأنه نسخة من شقيقه (طارق) الكبير ..

مزيج من ملامح (نشوى) و(رمزى) ..

مزيج مدهش ..

وفور أن نطقت (نشوى) عبارتها ، اندفع الجميع نحو الصغيرين ، يعانقونهما ، ويصافحونهما فى لهفة ، وهتفت (سلوى) ، وهى تحتضن (طارق) الصغير ، بكل لهفة وحنان أمومتها :

ــ أأنت بخير ؟!

أجابها (محمود) ، بين والديه ، وعلى شفتيه ابتسامة كبيرة :

ــ بالتأكيد .. لقد أنقذنى .

كان الذئب والدُّب يقفان صامتين منذ البداية ، فغمغم الثانى فى توتر ملحوظ :

ــ وكيف ؟!

أجابه (طارق) الصغير مبتسمًا :

ــ استعنت بعدد من رجال المقاومة ، وباغتنا رجال الحصن بهجوم من ثلاث جهات ، و ...

قاطعه الذئب فى عصبية ، لم يستطع إخفاءها :

ــ مفهـوم .

استداروا إليه فى صمت ، فأسرع يرسم على شفتيه ابتسامة ، وهو يردف :

ــ الآن اجتمع شمل الجميع .

لم ينطـق أحدهـم حرفًا ، فى حيـن اتجـه (طارق) نحو (محمود) الصغير ، وربَّت على كتفه بابتسامة كبيرة ، مغمغمًا :

ــ مرحبًا يا شقيقى الأكبر .

حدَّق (محمود) الصغير فيه بدهشة ، قائلاً :

ـ أنحن شقيقان ؟!

ربَّت عليه (نور) ، وقال فى سعادة ، وهو يتأمَّل عائلته ورفاقه :

ـ هناك الكثير مما ينبغى أن تعلمه .

ثم شدَّ قامته ، وأضاف فى حزم :

ـ والكثير مما ينبغى أن نعلمه أيضًا .

واتعقد حاجبا الذئب فى شدة ..

وصمت الدُّب تمامًا ..

فهذا كان يعنى بداية مرحلة جديدة ..

مرحلة حاسمة ..

وخطيرة ..

للغـــاية ..

* * *

« ماذا تعنى بأنه قد اختفى ؟!.. »

هتف القائد الأعلى بالعبـــارة فى غضب هـــادر ، جعل الدكتور (راشد) يرتعد فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا أحد يعلم .

صرخ فيه القائد الأعلى فى ثورة :

ـ المفترض أن تعلموا .. أنتم علماء .. بل صفوة العلماء .

قلب أحدهم كفيه ، مع عجز الدكتور (راشد) عن النطق ، وقال فى تردُّد شديد :

ـ هذا لم يحدث لنا من قبل قط .

أضاف آخر فى توتر :

ـ فكيف لنا أن نفهمه أو نعرفه ؟!

صرخ القائد الأعلى فى غضب :

ـ لو أنكم تعجزون عن فهم ما يحدث ، فما الفائدة من وجودكم ؟!

امتقعت وجوههم ، وتراجعوا فى ذعر ، فتدخَّل (هيثم) ، قائلاً :

ـ إنكم تسجلون كل ما يحدث هنا .. أليس كذلك ؟!

هتف الدكتور (راشد) فى لهفة :

ـ بالطبع .. بالصوت والصورة .

أضاف عالم آخر فى انفعال :

ـ ويمكننا عرض التسجيل الهولوجرامى فورًا .

أشار القائد الأعلى بيده فى صرامة ، قائلاً :

ـ هيـا .

أسرع أحد العلماء يضغط زر العرض الهولوجرامى ، و ...

وبدأت تلك الأحداث مرة أخرى ..

وعبر فراغ الحجرة ، رأى (هيثم) والقائد الأعلى ذلك المشهد المثير ..

كان جسد (محمود) يرقد هناك ، مفتوح العينين ، تام السكون ، كما لو أنه تمثال من الشمع ، وكل مؤشراته الحيوية تشير إلى الصفر ..

ثم فجأة ، وبلا مقدمات ، راحت تلك المؤشرات ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

ثم بدأ جسده يتألق فجأة ..

كان وكأنه يُشحن بالطاقة ، من مصدر مجهول ، فتفيض من جسده ، المصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، كما لو أنه مصباح يضيء ، على نحو تدريجى ..

وعلى الرغم منه ، غمغم (هيثم) مبهورًا :

ـ يا إلهى !

زمجر القائد الأعلى ، قائلاً فى صرامة مقتضبة :

ـ اصمت .

أطبق (هيثم) شفتيه ، وعيناه المتسعتان تواصلان متابعة ذلك العرض الهولوجرامى المثير ..

لقد راح جسد (محمود) يتألق ويتألق ، ويغمر المكان كله بضوء متصاعد بلغ خلال لحظات قليلة ، حدًا مذهلاً ، حتى لم يستطع أحد الحاضرين أن يواصل التحديق فيه ..

جميعهم أغلقوا أعينهم ، مع الضوء المبهر ..

فيما عدا القائد الأعلى ..

جفن ثالث أشبه بالأجفان الثالثة للطيور(*) ، أهبط أمام قرنيته ؛ ليخفف من شدة الضوء ، الواقع على شبكة العينين ..

وفى الوقت الذى عجز فيه الجميع عن الرؤية ، أو النظر إلى ذلك العرض الهولوجرامى ، كان هو يتابع ما يحدث فى اهتمام شديد ..

(*) تتميز الطيور ، وبعض أنواع الزواحف بجفن ثالث إضافى ، محوّر بحيث يصنع حاجزًا شبه معتم ، يقى عيونها ، عندما تواجه أشعة الشمس المباشرة ، خلال التحليق .

وحيرة حقيقية ..

وبالغـــة ..

لقد راح جسد (محمود) ، مع ذلك الضوء شديد الإبهار ، يتفكك ، كما لو أنه يذوب أو يتطاير ..

ثم راحت جزيئات مادته تتشتّت فى سماء الحجرة ..

وعلى نحو مدهش ومثير ، انجذبت إلى أجهـزة الفحص الرقمية ، فى قاعة الأبحاث العلمية ، وتلاشت فيها ..

تمامًا ..

وهنا فقط ، اختفى الضوء المبهر .

وشهق العلماء فى ذهول ..

فبالنسبة لهم ، ومع اختفاء الضوء ، كان جسد (محمود) قد تلاشى ، ولم يعد له وجود ..

أى وجود ..

ومع استعادة المشهد هولوجرامياً ، اتسعت عينا (هيثم) عن آخرهما فى ذهول ، فى حين غمغم الدكتور (راشد) ، وجسده كله يرتجف ، من فرط التوتر والانفعال :

ــ أرأيت ؟!

مع غمغمته ، انتهى العرض الهولوجرامى ، فالتفت القائد الأعلى فى بطء إلى أجهزة القاعة الرقمية ، وغمغم بدوره فى صرامة :

ــ رأيت .

ثم نهض فى حركة حادة ، واندفع خارج القاعة ، وهو يشير إلى (هيثم) بيده ، قائلاً :

ــ اتبعنى .

وأسرع (هيثم) خلفه ، وكيانه كله ينتفض انفعالاً ..

ففى هذه المرة أيضًا ، لم يفهم أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

* * *

على الرغم من كل محاولاته ، بدا الذئب شديد التوتر ، وهو يحاول أن يلخّص لأعضاء الفريق الموقف كله ، داخل الأطلال القديمة ..

لم يكن يروى لهم شيئًا شديد التعقيد ، ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، وجد صعوبة عجيبة فى وصفه ..

روى لهم كيف حدثت الكارثة ، عقب اختفائهم ، فى بداية القرن ..

وكيف اشتعلت الحروب بعدها ..

وكيف صار الحال على ما هو عليه ..

حدَّثهم كثيرًا وطويلاً ، وهم يستمعون إليه فى اهتمام شديد ، دون أن يقاطعه أحدهم بحرف واحد ، حتى انتهى من روايته ، فساد صمت مهيب ، استغرق لحظات ، قبل أن يقطعه (نور) بقوله :

ــ إذن فأنتم ترون رجال الحصن أشبه بالمحتلين .

اندفع الدُّب يجيب فى انفعال :

ــ إنهم كذلك .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ــ فقط لأنهم يمتلكون القوة ؟!..

أجابه الذئب فى حدة :

ــ بل لأنهم يحاولون قهر الجميع .

تساءلت (سلوى) :

ــ أليس من المحتمل أن ما تصفونه بالقهر ، هو مجرَّد محاولة لفرض النظام ، على عالم اجتاحته كارثة عنيفة ؟!

قال بنفس الحــدة :

ــ بالقــوة ؟!

قال (أكرم) فى صرامة :

ــ وهل تعرف وسيلة لفرض النظام سواها ؟!

غمغم (نور) فى حزم :

ــ القــانون .

سأله (أكرم) بنفس الصرامة :

ــ وكيف ستنفذ القانون ؟!

ثم التفت إلى الذئب ، واستطرد ، وهو يلوِّح فى وجهه بسبَّابته :

ــ كيف تنفذه أنت هنا ؟!

تراجع الذئب كالمصعوق ، وهو يهتف :

ــ أنــا ؟!

ثم أضاف فى عصبية :

ــ إننا لا نتحدَّث عنى أنا .

أشار (نور) إلى (أكرم) بالصمت ، ثم واجه الذئب ، قائلاً :

ــ ربما كانت محاورتنا فلسفية بعض الشىء ، وخاصة بعد كل ما واجهناه وشاهدناه هناك ، داخل ذلك الحصن ، ولكن دعنى أسألك : لماذا لم تحاولوا البحث عن مناطق أخرى متطوِّرة فيما حول الأطلال .

قال الدُّب فى اندفاع عصبى :

ــ لا يوجد شيء خارج الأطلال .

بدا (رمزى) شديد الانتباه لما يقال ، وتبادلت (سلوى) نظرة قلقة ، مع (محمود) و(طارق) الصغيرين ، فى حين قالت (نشوى) فى حزم :

ــ هذا غير صحيح .. شبكة المعلومات الفائقة تعمل بكفاءة ، وما زالت تتصل بشبكات أخرى خارجية ، وهذا يعنى أنه هناك نظم متطورة ، ما زالت تتعايش خارج هذه الأطلال .

هزَّ الذئب رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ــ لا يمكنك الجزم .

قالت فى إصرار :

ــ بل يمكننى .

قال فى صرامة :

ــ شبكة المعلومات الفائقة يمكن إعدادها ، بحيث تخدعك تمامًا ، دون أن تدركى هذا .

ومال نحوها بشدة ، وهو يضيف فى تحد :

ــ هل يمكنك الجزم بأن تلك الأنظمة ، التى تزعمين اتصالك بها ، عبر شبكة المعلومات الفائقة ، لم تبث لك من داخل الحصن نفسه .

تراجعت (نشوى) فى توتر ، وهى تغمغم فى عصبية :

ــ يستحيل الجزم بهذا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو ينقل بصره بينها وبين الذئب ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ أهذا يعنى أنكم لم تبذلوا أية محاولة جادة ، للخروج من هنا ؟!

هزَّ الذئب رأسه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ من الواضح أنكم عاجزون عن فهم ما يحدث هنا .

قال (أكرم) بنفاد صبر :

ــ اشرحه لنا إذن .

أجابه الدُّب فى انفعال :

ــ الواقع أنه يستحيل الخروج من هذه الأطلال .

سأله (رمزى) فى قلق شديد :

ــ ولمـــاذا مستحيل ؟!

كان يتوقَّع جوابًا من الدُّب ، ولكنه فوجئ بالجواب يأتيه على لسان (مشيرة) ، التى اندفعت قائلة :

ــ سأخبرك أنا لماذا .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، فالتصقت بزوجها (أكرم) ، وكأنها تنشد عنده الحماية ، وأكملت :

ـ طبيعتى الصحفية دفعتنى للبحث طويلاً فى هذا الأمر .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، فى حين ضمها (أكرم) إلى جانبه ، وكأنما يؤكد حمايته لها ، حتى مال (نور) نحوها ، قائلاً :

ـ فليكن يا (مشيرة) .. كلنا آذان مصغية .

التقطت (مشيرة) نفسًا عميقًا ، ثم بدأت تتحدَّث ..

وكان حديثها مدهشًا ..

بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ..

وربما أكثر ..

بكثير ..

* * *

« سنوقف كل الدوائر الرقمية فى المكان .. »

بدت الدهشة العارمة على وجه الرائد (هيثم) ، عندما ألقى إليه القائد الأعلى هذا الأمر ، وغمغم فى توتر :

ـ ولكن هذا مستحيل !

انعقـد حاجبا القائد الأعلى فى صرامة غاضبة ، فاستطرد (هيثم) فى سرعة وتوتر :

ـ أجهزة أمننا كلها تعتمد على الدوائر الرقمية ، وكذلك كل نظم المعلومات ، و ...

قاطعه القائد الأعلى بمنتهى الصرامة :

ـ ستوقفها ..

ارتبك (هيثم) وتوتَّر ، وهو يغمغم :

ـ فقط أخشى أن ...

قاطعه مرة أخرى فى صرامة مخيفة :

ـ الطاعة .. لا تفكير .. فقط الطاعة .

زفر (هيثم) فى توتر ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ كما تأمر يا سيِّدى ... كما تأمر .

ثم عجز مرة أخرى عن كتمان سؤاله ، وهو يقول :

ـ ولكن كم من الوقت ...

قاطعه القائد الأعلى ، وكأنما أصبحت هذه سمة أحاديثهما :

ـ حتى أصدر أمرى بإعادة تشغيلها .

صمت (هيثم) لحظات ، وهو يقاوم انفعالاً جارفًا فى أعماقه ..

ما يطلبه القائد الأعلى أمر بالغ الخطورة ..

وغير مفهوم تمامًا ..

علميًا ..

وعمليًا ..

وأمنيًا أيضًا ..

فتوقُّف الدوائر الرقمية ، ولو للحظة واحدة ، يعنى أن يصبح الحصن بلا حماية أو تأمين ..

بلا ذرة واحدة من الحماية أو التأمين ..

وهذا شديد الخطورة ..

شديد الخطورة ، إلى أقصى حد ممكن ..

وأقصى حد محتمل ..

ثم إنه لا يدرى ما الحكمة من هذا ؟!..

ما الذى يقصده القائد الأعلى ، من إيقاف كافة النظم الرقمية ؟!

ما الذى يستهدفه ؟!..

وما الذى ينتظره ؟!..

أسئلة عديدة ، لم تجد لها جوابًا فى عقله ، فلاذ بالصمت التام ، وهو يؤدى التحية العسكرية ، ويستدير منصرفًا ، فاستوقفه القائد الأعلى ، قائلاً فى صرامة :

ـ مُر الدكتور (راشد) بالقدوم لمقابلتى .

غمغم ، وهو يقف أمام الجدار ، الذى تموج استعدادًا لخروجه :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .

قالها فى لهجة أقرب إلى الشرود ، وذهنه منشغل بالبحث عن الأجوبة .. ولكن بلا أمل ..

على الإطلاق ..

فالواقع أن الأجوبة كانت تفوق قدرته على الفهم والاستيعاب ..

ألف مـــرة ..

* * *

شعرت (مشيرة) بأنفاسها تضيق نوعًا ما ، مع ذلك الانفعال ، الذى شمل جسدها كله ، وهى تقول :

ـ هناك حاجز ما ، يحيط بالأطلال كلها .. حاجز خفى ، أشبه بحواجز الطاقة الأمنية القديمة ، ولكنه أكثر قوة ، وتستحيل رؤيته تمامًا .

غمغمت (سلوى) فى اهتمام :

ــ الحواجز القديمة كانت تحــوى شرارات دقيقة ، تجعلها مرئية للأعين ، على الرغم من شفافيتها .

هزَّت (مشيرة) رأسها ، وهى تقول :

ــ هذه تختلف كثيرًا .

قالت (نشوى) :

ــ لا ريب فى أنها تطوَّرت ، كما تطوَّر كل شىء ، فى هذا العصر .

رفعت (مشيرة) سبَّابتها ، قائلة :

ــ السؤال هو : كيف حدث هذا التطوّر ، بعد كل ما أصاب العالم ، عقب الكارثة ؟

تمتم (محمود) الصغير :

ــ هذا ما أسأل نفسى عنه طوال الوقت .

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يغمغم :

ــ وما كان ينبغى أن أسأل نفسى عنه منذ البداية .

ضم (أكرم) (مشيرة) إليه أكثر ، وهو يقول :

ــ هذا العصر يصبنى بالتوتر أكثر ، مع كل ثانية أقضيها فيه .

تجاهل (نور) كل هذه التعليقات ، وهو يسأل (مشيرة) فى اهتمام :

ــ أهذه مجرَّد أقاويل تتردَّد هنا ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ لو أنها كذلك ، لما استحقت ما وصلت إليه من قبل ، فى مضمار الصحافة المرئية .

ثم مالت نحوه ، مضيفة فى لهجة خاصة ، توحى بمدى خطورة الأمر :

ــ لقد اختبرت هذا بنفسى .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ــ اختبرته ؟!

وسألتها (سلوى) فى قلق :

ــ وكيف هذا ؟!

اعتدلت (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ لقد شددت الرحال إلى أطراف الأطلال ، ولمست ذلك الحاجز بنفسى .

قال (نور) فى اهتمام بالغ :

ـ لمسته ؟!..

أومأت برأسها إيجابًا ، فتابع فى اهتمام أكبر :

ـ وكيف كان ملمسه ؟!..

انعقد حاجباها ، كما لو أنها تستعيد ذكرى مخيفة ، وهى تشير بيدها ، قائلة :

ـ لم يكن ملمسه يشبه أى حاجز عرفته من قبل .

تدخَّل الذئب فجأة ، قائلاً :

ـ إنه أشبه بالمخمل .

التفت إليه (نور) ، فتابع ، فى شىء من التوتر :

ـ وهذا لا ينفى صلابته .

قالت (سلوى) فى تركيز :

ـ صلب وأشبه بالمخمل ؟!.. أى ملمس هذا ؟!

غمغم الدُّب وصوته يرتجف ، على نحو لا يتفق مع مظهره :

ـ ملمس مخيف .

تمتم (طارق) الصغير فى قلق :

ـ ما الذى يمكن أن يصنع حاجزًا كهذا ؟!

التفت إليه (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ السؤال هو : لماذا يصنع حاجزًا كهذا ؟!

أجابه الذئب فى توتر :

ـ ليمنعنا من الخروج .

تساءل (رمزى) باندفاع :

ـ لمـــاذا ؟!

بدت الحيرة على وجه الذئب لحظة ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

ـ أخبرتك أنهم محتلون .

قال (نور) فى تفكير :

ـ ولماذا يسعى المحتل لمنع من يحتلهم من الخروج ؟!

قالت (نشوى) :

ـ للسيطرة عليهم .

وأضاف (طارق) :

ـ أو الاستفادة منهم .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ وهل حاولتم حتى الاستفادة منهم ؟!

قبل أن يجيبه (طارق) ، قال (نور) فى حزم :

ـ أو ربما لمنعهم من رؤية ما خارج الأطلال .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ ولماذا يمنعهم ؟!..

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم شديد :

ـ هذا ما سنعرفه .

ثم أدار بصره فى وجوههم ، قبل أن يضيف :

ـ عندما نذهب إلى هناك .

بدا شديد الحزم والصرامة ، مع استطرادته :

ـ إلى حيث تنتهى الأطلال .. ويبدأ المجهول .

ومع كلمته الأخيرة ، هبط صمت رهيب على الجميع ..

صمت متسائل ..

قلق ..

مخيف ..

إلى أقصى حـد ..

* * *

6 ـ الرحلة ..

اتسعت عينا الدكتور (راشد) عن آخرهما ، فى دهشة وارتياع ، وهو يحدّق فى وجه الرائد (هيثم) ، مغمغمًا :

ـ نوقف الدوائر الرقمية ؟!.. هل جننت ؟!

انتبه فجأة إلى فداحة ما نطق به ، فاستدرك فى ذعر :

ـ معذرة أيها الرائد .. لم أقصد أن ...

قاطعه (هيثم) فى عصبية :

ـ أعلم .. أعلم .. ولكنها الأوامر .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ الأوامر ؟!.. أوامر من ؟!..

ثم عاد يتراجع فى سرعة ، مستدركًا فى عصبية :

ـ آه .. فهمت .

صمت لحظات فى مرارة شديدة ، وعجز لم يشعر بمثله من قبل ، ثم لم يلبث أن مال نحو (هيثم) ، مغمغمًا :

ـ ومتى سنفعل هذا ؟!

شدَّ (هيثم) قامته ، وكأنما يحاول بث بعض الشجاعة فى نفسه ، قبل أن يجيب فى عصبية ، لم يستطع كبتها :

ـ الآن .

انتفض جسد الدكتور (راشد) فى عنف ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ الآن ؟!

واستطرد فى عصبية :

ـ أمر كهذا يحتاج إلى استعدادات خاصة ، و ...

قاطعه (هيثم) فى صرامة عصبية :

ـ الآن .

احتقن وجه الدكتور (راشد) فى شدة ، وبدا من الواضح أنه يقاوم انفعالاً جارفًا فى أعماقه ، أفصح عن نفسه فى بحة صوته ، وهو يسأل :

ـ ألهذا علاقة بما حدث ؟!

التقط (هيثم) نفسًا عميقًا ، وغمغم :

ـ بالتأكيد .

انخفض صوت الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

ــ ولكننا لم نر شيئًا ، ولم نرصد شيئًا .

ارتجف صوت (هيثم) ، على الرغم منه ، وهو يقول :

ــ هو رأى .. رصد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف ، بصوت أكثر ارتجافًا :

ــ حتمًا .

لم يحاول الدكتور (راشد) التعليق بحرف واحد ، وإنما اكتفى بالتحديق فى وجه (هيثم) لحظات ، قبل أن يومئ برأسه فى يأس مستسلم ، ثم يستدير إلى جهاز التحكُم فى الدوائر الرقمية ، و ...

وضغط الزر الرئيسى ..

وتوقَّفت كل الدوائر الرقمية .. تمامًا ..

بأوامر القائد الأعلى ..

شخصيًا ..

* * *

كانت الشمس تلقى أشعتها الأولى على الأطلال ، عندما ثبَّت (نور) حقيبة الظهر القديمة خلفه ، وهو يواجه رفاقه ، قائلاً :

ــ فريقنا سيذهب لاستكشاف حدود الأطلال ، مع تلك المعدات ، التى أمكنكم توفيرها لنا ، من بقايا تكنولوجيا عصرنا ، و(طارق) سيبقى هنا ؛ ليساعد فى تنظيم حركة المقاومة ، بما له من معلومات عن الحصن ، وسينضم إليه زعماء المقاومة .

تمتم (طارق) الصغير فى ضيق :

ــ أهذا يشملنا ، (محمود) وأنا ؟

وضع (نور) يده على كتفه ، وحاول أن يمنحه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ــ (طــارق) .. لا يمكنك أن تتصوَّر سعادتى برؤيتك رجلاً ناضجًا ، ما زال يحيا ويقاوم ، فى زمن عسير كهذا ، على الرغم مما حرمت منه ، من التمتُّع بمتابعة نموك وتطوّرك ، ومن التواجد إلى جوارك ، فى أهم مراحل حياتك .

دمعت عينا (سلوى) ، وهى تتمتم :

ــ لم نحظ بهذا فى حياتنا قط .

وأدرك الجميع ما تعنيه تمامًا ..

ابنتها (نشوى) نمت ، من الطفولة إلى الشباب بقفزة واحدة ..

وابنها الثانى غاب عنها لأكثر من ثلاثة عقود ، قفزت فيها مع الفريق كله إلى مستقبلهم ..

حتى حفيداها، لم تشاهدهما ينموان وينضجان ..

ويا لها من تركيبة عائلية عجيبة !..

ابنتهما (نشوى) ، تكاد تقاربها الآن عمرًا ..

وكذلك ابنها (طارق) ..

وحفيداها (طارق) و(محمود) ، صارا فى مثل عمرها وعمر ابنتها تقريبًا ..

ويا له من عمر !..

لم يحاول (نور) التعليق على عبارتها ، على الرغم من أنه يشاركها مشاعرها نفسها ، ولكن (نشوى) اندفعت نحوها ، وعانقتها فى حنان ، وانضم إليها (طارق) و(محمود) الصغير ، فى حين واصل (نور) حديثه مع (طارق) الصغير ، مكملاً :

ــ ولكننا الآن نواجه مستقبل عالمنا كله ، وواجبنا يحتم علينا طرح كل مشاعرنا الشخصية جانبًا ، والقيام بما ينبغى علينا القيام به .

غمغم الذئب فى قــوة :

ــ بالتأكيد .

وحاول (أكرم) كتمان مشاعره ، وهو يدفع شيئًا من الصرامة إلى صوته ، قائلاً :

ــ هل سنضيع يومنا كله ، فى هذه المناوشات العاطفية .

ابتسمت (مشيرة) ، وهى تلتصق به ، وتسند رأسها على صدره ، وكأنها تعلمــه أنها تفهم حقيقة مشاعره ، التى يحاول إخفاءها ، فضمها إليه ، وهو يواصل فى عصبية :

ــ دعونا نبدأ رحلتنا .

هتفت (مشيرة) :

ــ سأصحبكم .

أجابها (نور) و(أكرم) فى صرامة ، فى آن واحد :

ــ كــلاَّ ..

قالت فى عنــاد :

ــ لن أضيع فرصة كهذه لــ ...

قاطعها (أكرم) فى صرامة شديدة :

ــ قلت كلا .

ثم أبعدها عنه ، مضيفًا ، وهو يتحاشى النظر إليها :

ــ ستبقين هنا ، فى انتظار عودتنا .

تراجع رأسها فى دهشة عارمة ، ولكنه التفت إليها ، وبدا الحب واضحًا فى عينيه ، وهو يكمل مبتسمًا :

ــ كما كانت تفعل النساء ، فى الزمن الذى أعشقه .

ارتفع حاجباها فى تأثُّر شديد ، وهى تغمغم :

ــ سأنتظرك .

ابتسم فى حنان ، فى حين أطلّت الدهشة من عيون الآخرين ، مع ذلك التحوّل الشديد والحاد فى شخصيتها ، فيما عدا (رمزى) ، الذى ابتسم ابتسامة هادئة ، تعلن عن فهمه لما حدث ، وتحرّك الدُّب خطوتين إلى الأمام ، وهو يسأل فى انفعال :

ــ وماذا عنّى ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ــ ستبقى هنا .

بدا عصبيًّا وهو يقول :

ــ ولكننى ...

قاطعه (نور) ، وهو يضع يديه على كتفيه الضخمتين ، ويتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

ــ ستبقى هنا ، لحماية السيّدة (مشيرة) ، وابنى ، وحفيدىّ .

اتسعت عينا الدُّب فى انبهار ، وهو يقول بصوت مرتجف ، من فرط الانفعال الجارف :

ــ أنا .

أجابه (نور) فى حزم :

ــ أنا أثق بك .

انتفض جسد الذئب فى قوة ، وارتفع حاجباه فى تأثُّر وانفعال ، فى حين عقد الذئب حاجبيه فى شدة ، وأطلّت من عينيه نظرة ، لم تغب عن عينى (رمزى) ، وإن لم يحاول التعليق ، و (نور) يرفع يديه عن كتفى الدُّب ، ويلتفت إلى الجميع ، قائلاً فى حزم :

ــ هيا بنا .

استعد الجميع للرحيل ، عندما أمسك الدُّب ذراع (نور) ، وهو يقول فى قوة وانفعال :

ــ سأحميهم بحياتى .

مرة أخرى ، بدا من انعقاد حاجبى الذئب ونظرته ، أن هذا لم يرق له أبدًا ، ولكن (نور) قال للدُّب فى حزم :

ـ كلى ثقة فى هذا .

انحنى (أكرم) بطبع قبلة حانية على جبين (مشيرة) ، التى تمتمت :

ـ سأنتظرك .

ربّت على خدها فى حنان وحب ، ثم اعتدل استعدادًا للرحيل ، لولا أن قال (محمود) الصغير مبتسمًا :

ـ عمى (أكرم) .. عندى هدية خاصة لك .

التفت إليه (أكرم) متسائلاً ، فناوله (محمود) الصغير علبة من الخشب ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ أعتقد أنها ستروق لك .

فتح (أكرم) العلبة فى تساؤل ، ولم يكد يلقى نظرة على محتواها ، حتى هتف فى سعادة :

ـ مسدس تقليدى ؟!

أشار (محمود) الصغير بسبّابته ، قائلاً :

ـ مع ذخيرة كافية .

نظر إليه (أكرم) بامتنان حقيقى ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ صدقنى .. هذه أفضل هدية تلقيتها .. ربما فى حياتى كلها ..

كيف يمكننى أن أشكرك ؟!

أجابه (محمود) الصغير فى حزم :

ـ ابذل كل ما بوسعك ؛ لإنقاذ عالمنا .

بدا فى هذه اللحظة كصورة مجسَّمة من جده (نور) ، فران الصمت على الجميع لحظات ، قبل أن يقطعه (نور) فى حزم :

ـ هيـا .

ودوت كلمة إضافية ... بدأت الرحلة ..

رحلة الخطر ..

أو رحلة الموت ..

* * *

تحت ذلك الضـوء العجيـب ، وفى منتصـف حجرته ، وقف القائد الأعلى يرفع وجهه إلى أعلى ، وينصت فى اهتمام ..

كان من الواضح أنه يستمع إلى شىء ما ..

حديث ما ..

أو حوار ما ..

لقد شحذ حواسه كلها ، فى انتباه شديد للغاية ، ولفترة زادت على الدقائق العشر ، قبل أن يقول :

ــ نعم .. كل شىء ما زال تحت السيطرة .. إنهم يتصورون أنهم يسيرون وفق منهجهم ، ولكن هذا غير صحيح بالمرة .

استمع مرة أخرى فى اهتمام ، إلى حديث لا يستقبله سواه ، ثم هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ــ لا .. (نــور) وفريقــه لا يمثلــون تلك الخطورة التى تتصوَّرونها .. إننى مازلت أسيطر على الموقف كله .

انعقد حاجباه ، وهو ينصت فى اهتمام بالغ ، ثم قال فى عصبية :

ــ ما فعله ذلك المصنوع من (الزوريوم) ليس حاسمًا .. لقــد دفع مادته داخل الدوائر الرقمية ، ولقد أوقفتها كلها ، وهذا سيشتت مادته عبرها ، ولن يمكنه جمعها مرة ثانية أبدًا .

أنصت مرة أخرى ، قبل أن يضيف فى حدة :

ــ كلا .. لن يمكنه هذا ، والمفترض أن ما عرفتموه عن (الزوريوم) الحيوى ، يجعلكم واثقين من هذا .

عاد مرة أخرى إلى الاستماع باهتمام بالغ ، ثم عاد يهزُّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ــ حتى لو وصلوا إلى حدود الأطلال ، لن يمكنهم عبورها .

كان يستمع مــرة أخــرى ، عندما دوت فرقعة مكتومة فجأة داخل حجرته ، فانتفض جسده ، والتفت بحركة حادة إلى مكتبه ، قبل أن يقول فى عصبية :

ــ وفقًا لنظم الأمن المتفــق عليهــا ، ينبغى أن أنهى الاتصال فورًا .

أنهى الاتصال بالفعل بوسيلة ما ، وتلاشى ذلك الضوء العجيب دفعة واحدة ، وتموَّج بعد ذلك الجزء من السقف لحظة ، ثم عاد لطبيعته ، فى حين اتجه القائد الأعلى إلى مكتبه ، ومال يفحص شاشة الاتصال فى قلق بالغ ، وهو يغمغم :

ــ تُرى أمن الممكن أن ...

قبل أن يتم تساؤله ، دوت تلك الفرقعة المكتومة مرة أخرى ، وارتجَّ معها المكان كله ارتجاجة خفيفة ، جعلته يغمغم فى عصبية ، ووجهه يستعيد ملامح (أيمن) القديمة :

ــ لا .. مستحيل !..

مع قوله ، بدت له نقاط صغيرة ، أشبه بقطرات من الفضة السائلة ، تتطاير عبر فراغ الحجرة ، فتراجع هاتفًا ، ومكررًا :

ــ مستحيل !.. لقد أغلقت كافة الدوائر الرقمية .

تلاقت تلك القطرات فى سرعة ، من كل مكان بالحجرة ، عند نقطة واحدة فى منتصفها ..

فى نفس المكان الذى كان يتلقى فيه الاتصال منذ لحظات ..

تلاقــت ..

وتجمَّعت ..

وتكثَّفــت ..

وتجسدت ..

وفى غضون ثانيتين فحسب ، كانت قد شكلت ما يشبه كيانًا من الزئبق السائل ، له تكوين بشرى ..

أو شبه بشرى ..

وبقفزة واحدة ، التقــط القائد الأعلى مسدسه التردُّدى ، وصوَّبه نحو ذلك التكوين ..

وفى تلك اللحظة ، التى استغرقها هــذا ، كان ذلك التكوين قد اكتسب ملامحه وهيئته الأخيرة ..

تلك الهيئة ، التى لم يتوقع ، ولم يتمن رؤيتها ثانية أبدًا ..

هيئة (محمود) ..

ومن دون تفكير ، ضغط القائد الأعلى زر الإطلاق فى مسدسه ..

وانطلقت طاقته التردُّدية ..

المدمِّرة ..

* * *

فى توتر شديد ، راح الذئب يسير داخل مقر القيادة ، معقود الحاجبين ، صارم الملامح ، حــاد النظرات ، عصبى المسار ، حتى إن الدُّب سأله فى قلق حائر :

ــ ماذا أصابك أيها الزعيم ؟!

توقَّف الذئب عن الحركة دفعة واحدة ، والتفت إليه فى غضب ، هاتفًا فى حدة :

ــ الزعيم ؟!.. أما زلت تخاطبنى بالزعيم ؟!.. ألم تتخذ بالفعل زعيمًا آخر ؟!

ارتفع حاجبا الدُّب فى دهشة ، وهو يقول :

ــ زعيم آخر ؟!.. ماذا دهاك أيها الزعيم ؟!.. أى زعيم هذا ، الذى تتحدَّث عنه ؟!

لوّح الذئب بذراعه كلها فى حدة ، وهو يقول :

ـ (نور) .. الأسطورة .. لقد رأيت كيف كنت تتحدّث إليه فى انبهار .

قال الدُّب فى حيرة شديدة :

ـ ولكنه الأسطورة كما تقول أيها الذئب .. الأسطورة التى حلمنا بها طويلاً .. الأمل ، الذى استعدناه بعودته وعودة فريقه .

قال الذئب ، فى عصبية :

ـ إذن فقد كنت على حق .. إنه زعيمك الجديد .

هتف الدُّب فى غضب :

ـ زعيمى الجديد ؟!.. وهل كان لى زعيم قديم ؟!.. أنا زعيم من زعماء المقاومة أيها الذئب ، ولدى جيش من الرجال ، يدينون لى جميعهم بالولاء .

قال الذئب ، فى عصبية أكثر :

ـ وأنا زعيم زعماء المقاومة ، أم أنك نسيت هذا ؟!

هتف الذئب :

ـ والأسطورة أكّد أن كل شىء سيبقى على ما هو عليه .

أطلق الذئب ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

ـ وأنت صدّقت هذا ؟!

انتفض جسد الدُّب فى غضب ، وهو يهتف :

ـ الأسطورة لا يكذب أبدًا .

ثم ضرب صدره بقبضته ، مستطردًا فى انفعال :

ـ لقد ائتمننى على حياة ابنه وحفيديه ، و ...

قاطعه الذئب ، هاتفًا فى حدة :

ـ ربما كان هو صادقًا .

ثم أدار ذراعه فى الهواء بكل العصبية ، مضيفًا :

ـ ولكن ماذا عن الآخرين ؟!.. هل سيقبلون بى زعيمًا لزعماء المقاومة ، فى وجود الأسطورة ، الذى حفظوا بطولاته ومعجزات فريقه عن ظهر قلب ، منذ نعومة أظافرهم ؟!

انعقد حاجبا الدُّب الكثين ، وهو يقول :

ـ الأسطورة أكّد أن ...

قاطعه فى حدة :

ـ لم تجب عن سؤالى بعد .

لم يستطع الدُّب مصارحته بالجـواب الحقيقى ، الذى قفز إلى ذهنه مباشرة ، وهو يقول :

ـ ليس المهـم ما يقبلونه .. المهم أن نصل إلى ما نبتغيه .. أليست هذه كلماتك أيها الذئب ؟

عقد الذئب كفيه خلف ظهره ، وترك حاجبيه معقودين ، دون أن يجيب ، فتابع الدُّب فى حزم :

ـ إننا نقاتل من أجل الحرية .. من أجل الكرامة .. من أجل (مصر) ... أليست هذه أيضًا كلماتك ؟!.. ليس المهم من يتزعم الركـب .. المهـم أن يسير الركب فى مساره الصحيح .. لو أننى ما زلت أذكر ، فهذه أيضًا كلماتك ..

صمت الذئب لحظات ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ نعم .. هى كلماتى .

وعاد إلى صمته لحظات أخرى ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ ولكن الحقيقة تختلف .

سأله الدُّب فى حدة :

ـ فيـم .

استدار إليه فى بطء ، مجيبًا فى صرامة :

ـ فى كونها حقيقة .

لم يزد على هذا حرفًا واحدًا ..

ولم يحاول الدُّب حتى أن يسأله عما يعنيه ..

ولكنه أدرك أنه حتمًا يعنى الكثير ..

والكثير جـدًا ..

جـدًا ..

* * *

« هل تدرك ما نحن مقدمون عليه يا (نور) ؟!.. »

ألقى (رمزى) سؤاله ، وهو يسير مع رفاقه ، عبر أطلال المدينة العظيمة ، التى كانت يومًا عاصمة وطنهم ، فأجابه (نور) ، وهو يواصل طريقه :

ـ بكل تأكيد .

قال (رمزى) ، وهو يسير إلى جوار (نشوى) و(سلوى) :

ــ إننا سنقطع نصف (القاهرة) الجديدة سيرًا على الأقدام ، وبعدها يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، كم علينا أن نسير بعدها .

قال (نور) فى حزم :

ــ أية وسيلة انتقال ستجذب إلينا الانتباه ، وسيسهل تعقُّبها .

أضاف (أكرم) ، وهو يتلفَّت حوله فى حذر ، ويده تلمس مقبض مسدسه التقليدى فى تحفُّز :

ــ وسيسهل اصطيادنا أيضًا .

أومأ (رمزى) برأسه ، موافقًا إياهما ، قبل أن يقول :

ــ هذا بالضبط ما عنيته يا رفاق .. لقد نجحنا فى الفرار من ذلك الحصن ، ووصلنا إلى قلب الأطلال ، دون أن نعلم بالضبط ما نحن مقدمون عليه ، ولا بد وأن أخبركم أننى ، كخبير فى علم النفس البشرية ، لا يمكننى الجزم بعد ، بأننا فى الجانب الصحيح .. أعنى بالنسبة لما يفيد مستقبل الوطن .

قالت (نشوى) فى سرعة :

ــ أنت على حق .. إننى لم أشعر بالارتياح بعد ، على الرغم من فرارنا من الحصن .

غمغم (أكرم) ، وهو يعقد حاجبيه :

ــ وأنا أيضًا .

قالت (سلوى) فى توتر :

ــ لم أستطع الوثوق بذلك ، الذى يطلق على نفسه لقب الذئب ، منذ اللحظة الأولى .

قال (نور) فى حزم :

ــ أعتقد أن هذا ينطبق علينا جميعًا .

قال (رمزى) فى حماس :

ــ لقد أدركت هذا ؛ عندما تجاهلته تمامًا ، وأنت توصى ذلك الدُّب بالآخرين .

غمغم (نور) :

ـ أتعشَّم ألا أكون قد فقدت قدرتى ، فى الحكم على الأشخاص .

ابتسم (رمزى) ، متمتمًا :

ـ لم تفقدها .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قالت (سلوى) فى اهتمام :

ـ حديث (مشيرة) أقلقنى فى الواقع ، فهى تعرف جيدًا طبيعة حواجز الطاقة التى تعرفها ، ومع تأكيدها بأن ما سنواجهه يختلف ، أشعر أننا سنواجه مفاجأة .

تمتم (أكرم) ، وهو يمسك مقبض مسدسه بحركة غريزية :

ـ أو كارثة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أظننا اعتدنا كليهما ، منذ زمن طويل .

قالت (نشوى) :

ـ كنا نمتلك ما يكفى للمواجهة .

أجابها بنفس الصرامة :

ـ وما زلنا نمتلكه .

واشتد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـ الإيمـــان .

حسم قوله الموقف ، فلم ينطق أحدهم بعدها بحرف واحد ، لما يقرب من نصف ساعة كاملة ، وهم يسيرون عبر أطلال (القاهرة) القديمة ، والشمس تواصل رحلتها عبر السماء ، وتغمرهم بأشعتها الذهبية بعض الوقت ، ثم يحتمون منها بين الأطلال وقتًا آخر ..

ثم فجأة ، توقَّف (أكرم) ، ومدَّ ذراعه عن آخرها ، يحتجز بها (نور) ، الذى أشار إلى رفاقه بالتوقُّف ، وهو يسأله فى همس قلق :

ـ هناك ما يتبعنا .

تبادلوا جميعًا نظرة متوترة ، و(نور) يسأله :

ـ ما أم من ؟!

أجابه فى توتر شديد :

ـ ما يا (نور) ... ما .

ثم التفت إليه ، مضيفًا :

ــ ما يتبعنا ليس بشريًا .. على الإطلاق .

وتفجَّرت فى أعماقهم موجة ثلاثية ، من الدهشة والقلق والخوف ..

موجة عنيفة ..

للغــاية .

* * *

7 ـ ذروة رقمية ..

مع انطــلاق تلــك الدفقــة التردُّديــة العنيفــة ، مــن سلاح القــائد الأعلى ، نحــو ذلــك الكيــان البشرى الواقف أمامه ، والمصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، تألَّقت الحجرة كلها على نحــو مدهش ..

ولكن أنظمة الأمن الرقمية لم تعمل ..

لأن القائد الأعلى ــ شخصيًا ــ أوقفها ..

ولقد أصابت الدفقة التردُّدية ذلك الجسد الزوريومى ..

وانفجــر ..

أو بدا وكأنه قد انفجر ..

لقد تشتَّت تلك القطرات شبه الفضية ، وتألَّقت تحت ضوء القاعة القوى ..

ثم حدثت تلك الظاهرة المدهشة ..

لقد بلغت تلك القطرات حافة الحجرة أو حوافها ، ثم ارتدّت مرة أخرى ، فى قوة وسرعة ، كما لو أنها مربوطة بحبل مطاطى سميك ..

وعادت كل منها ، إلى الموقع الذى كانت تحتله بالضبط ..

وتكوّن جسد (محمود) مرة أخرى ..

جسده المصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، الذى لم تكتشف كل خواصه المدهشة بعد ..

ومع انعقـادة حاجبيـه الشديدة ، خفض القائد الأعلى فوهة مسدسه التردُّدى ، وهو يقول فى مقت :

ـ أنت .

عقد (محمود) ساعديه أمام صدره ، وهو يجيب فى حزم :

ـ نعم .. هو أنا .

قال القائد الأعلى فى عصبية :

ـ ولكن كيف ؟!.. لقد أوقفت انتشارك .

رفع (محمود) أحد حاجبيه وخفضه ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنت أوقفتنى .

ثم أضاف بابتسامة ظافرة :

ـ وأنت أعدتنى .

سأله فى توتر حذر :

ـ كيـف ؟!

أشار (محمود) بسبابته إلى السقف ، وهو يجيب :

ـ باتصالك .

ردَّد القائد الأعلى فى توتر :

ـ اتصـالى ؟!

عقد (محمود) ساعديه أمام صدره ، وقال :

ـ نعم .. اتصالك هذا فتح قنـاة مدهشة ، ذات طاقة عالية للغاية ، ومن خلالها ، وجدت سبيل العودة .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فمال (محمود) حوله ، مضيفًا :

ـ وعلمت أنك زائف .

أجابه القائد الأعلى فى عصبية :

ـ إنك لم تعلم شيئًا .

اعتدل (محمود) ، وهو يهز كتفيه ، قائلاً :

ـ يكفى أننى علمت أنك شخص زائف .

أطلق ضحكة عصبية ، وهو يقول :

ـ أهذا كل ما لديك ؟!

قال (محمود) فى صرامة :

ـ وأنك ، على الأرجح ، لست بشريًا .

لوَّح فى وجهه بسبَّابته فى حدة ، هاتفًا :

ـ وماذا عنك ؟!.. أأنت بشرى ؟!

بدا الضيق فى ملامح (محمود) ووجهه ، وهو يقول :

ـ ولكننى أنتمى إلى البشر .

بدا صوت القائد الأعلى قاسيًا غليظًا ، وهو يقول :

ـ خطـأ .

بدا التوتر على وجه (محمود) ، وشدَّد من عقد ساعديه أمام صدره ، فتابع القائد الأعلى ، وهو يخرج من خلف مكتبه ، ويدور حوله فى صرامة قاسية :

ـ ربما كنت تشبههم ، وتتفاعل مثلهم ، وربما ما زالت فى أعماقك بقايا حنين إليهم .

توقَّف خلفه تمامًا ، وهو يضيف ، فى قسوة شديدة :

ـ ولكنك حتمًا لا تنتمى إليهم .

أدار (محمود) وجهه قليلاً ؛ ليلقى نظرة على القائد الأعلى ، الذى تابع فى صرامة مخيفة :

ـ بل إلينا .

انتفض جسد (محمود) فى عنف ، وهو يهتف :

ـ مســتحيل !..

وضع القائد الأعلى يده على كتفه فى قوة ، وهو يقول ، فى مزيج من الصرامة الشديدة ، والقسوة البالغة :

ـ حقًّا ؟!..

فى اللحظة الأولى ، شعر (محمود) براحة القائد الأعلى ، وكأنها يد من فولاذ ساخن ..

ثم فجأة ، امتزج بعقله شىء ما ..

شىء أتى حتمًا من هناك ..

من عقل القائد الأعلى ..

أو من أعماقه ..

وانتفض جسد (محمود) فى عنف ..

وانتفضت كل قطرة من مادة (الزوريوم) الحيوى داخله ..

واتسعت عيناه فى ذعر ..

فما اشتعل فى أعماقه ، وانتقــل من القائد الأعلى إليه ، كان قويًا ..

عنيفًا ..

قاسيًا ..

ومخيفًا ..

إلى أقصى حد يمكن تخيُّله ..

* * *

« أنت على حق يا (أكرم) .. »

قالتها (سلوى) فى توتر ، وهى تلصق سماعة جهازها القديم بالأرض ، وتراقب شاشته فى قلق ..

لم يكن قديمًا ، بالنسبة للعصر الذى أتوا منه ..

أو الذى توقَّف وعيهم فيه ..

وكان يكفى ..

بالنسبة إليها على الأقل ..

وفى اهتمام قلق ، سألها (نور) :

ــ ماذا يرصد جهازك بالضبط ؟!

صمتت لحظة ، وهى تتابع شاشة الجهاز ، قبل أن تجيب ، فى صوت حمل مشاعرها :

ــ زحــف .

ردَّدت (نشوى) فى قلق :

ــ زحــف ؟!

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ شىء يزحف أسفلنا .

سألها (رمزى) :

ــ شىء مثل ماذا ؟!

ترددَّت لحظات ، قبل أن تجيب :

ــ ثعبــان .

بدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، و(نور) يقول :

ــ ثعبان ؟!.. وهل يمكن أن ...

قاطعته (سلوى) بصوت مرتجف :

ــ ليس ثعبانًا عاديًا .

سألها فى قلق ، شاركه فيه الجميع :

ــ ماذا تعنين بأنه ليس ثعبانًا عاديًا .

أشارت بيدها ، مجيبة :

ــ الإشارات التى يلتقطها الجهاز ، تتطابق مع إشارات ثعبان يزحف تحت الأرض ، ولكنها مكبَّرة ألف مرة .

اتسعت عيونهم فى شىء من الذعر ، فأضافت فى خفوت :

ــ على الأقل .

أمسكت (نشــوى) ذراع (رمزى) ، وكأنها تنشد لديه الحماية ، فى حين ســحب (أكرم) مسدسه ، وانعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة ، صنعتها عصبيته :

ــ ليس هذا ما سمعته .

ثم أشار بسبَّابته الحرة ، مضيفًا :

ــ ولا تنسوا أن تلك الفترة ، التى قضيتها وحدى ، عقب الاحتلال ، جعلتنى أكثركم قدرة ، على رصد الخطر البرى(*) ..

ارتبكت مشاعرهم ، بين التلفُّت حولهم فى حذر ، وانتظار تقرير (سلوى) النهائى ، عما يحدث تحت أقدامهم ، وقال (نور) يسأله :

ــ وهل أمكنك تمييز ذلك الذى سمعته ؟!

أشار (أكرم) بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

ــ إنه شىء يزحف أيضًا ، ولكن ليس تحت أقدامنا .

ثم مال نحو (نور) ، مضيفًا فى حزم :

ــ بل خلفنـــا .

التفتت (سلوى) خلفها فى قلق ، وهى تقول :

ــ ولكن الجهاز لم يرصد شيئًا .

(*) راجع قصة (رمز القـوة) .. المغامرة رقم (81) .

أشار (أكرم) بسبَّابته مرة أخرى ، قائلاً :

ــ لقد توقَّف عن الزحف ، فور توقُّفنا .

أشارت (سلوى) بسبَّابتها إلى الأرض ، قائلة :

ــ ذلك لم يتوقَّف .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ــ ربما هو الشىء نفسه ، ولكنه شق طريقه إلى ما تحت الأرض ، عندما توقَّفنا .

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، وهو يجيب :

ــ كـــلاَّ .

ثم تحرك فى خفة بين الأطلال ، مضيفًا :

ــ إنه ما زال هناك .

تبعه (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ــ لا تذهب وحدك .

سرى التوتر فى جسد (سلوى) ، عندما اختفيا وسط الأطلال ، فى حين سألتها (نشوى) ، وهى تقترب منها :

ـ ماذا عن الآخر .. أما زال يزحف ؟!

ارتجف صوت (سلوى) فى شدة ، وهى تقول :

ـ بل توقَّف .

واتسعت عيناها ، وهى تنظر إلى قدميها ، مستطردة :

ـ أسفلنا تمامًا .

تحرَّك (رمزى) و(نشوى) بحركة غريزية مذعورة ، وهما ينظران إلى الأرض ، هاتفين فى انزعاج :

ـ أســفلنا .

عادت تتابع شاشة الجهاز فى توتر ، وهى تقول :

ـ ولكنه ثابت تمامًا ، لا تصدر عنه حتى اهتزازات الأنفاس ، حتى ليبدو وكأنه .. وكأنه ...

تردَّدت طويلاً ، فسألها (رمزى) فى اهتمام قلق :

ـ كأنه ماذا ؟!

رفعت عينيها إليه ، مجيبة :

ـ وكأنه ليس حيًّا .

ردَّدت (نشوى) فى دهشة ، امتزجت بشىء من الذعر :

ـ ليس حيًّا ؟!.. ماذا يمكن أن يكون إذن ؟!

لم يكد السؤال يتجاوز حلقها ، حتى ارتجَّت الأرض فجأة تحت أقدامهم ، وهتفت (سلوى) فى ذعر :

ـ إنه يتحرَّك .

مع آخر قولها ، وربما فى منتصفه ، بدأت الأرض من تحتهم ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

ومع سرعــة ارتفاعها ، اختل توازن ثلاثتهم ، وصرخت (سلوى) بكل قوتها :

ـ (نـــور) .

ومع صرختها ، اخترق ذلك الشيء قلب الأرض ..

وبرز أمامهم ..

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، فى حين أطلقت (نشوى) صرخة عالية ..

صرخة مدوية ..

مرعوبة ..

* * *

ألقى (محمود) الصغير نظرة فاحصة على ما حوله ، عبر نافذة ذلك المقر الجديد ، الذى انتقل إليه ، وسط الأطلال ، قبل أن يلتفت إلى (طارق) ، قائلاً :

ـ ما يحدث هنا لا يروق لى أبدًا .

غمغم (طارق) الصغير :

ـ ولا لى .

نقل (طارق) بصره بينهما ، قبل أن يشدّ قامته ، قائلاً :

ـ أنتما على حق .. نظم الأمن لدينا لا تسمح بشن مثل تلك الغارة ، و ...

قاطعه (محمود) الصغير فى اهتمام :

ـ ليس هذا ما قصدته .

وأشار بيده ، مستطردًا :

ـ ما يقلقنى ولا يروق لى ، ليس ما يحدث هناك .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ بل ما يحدث هنا .

أشار إليه (طارق) الصغير بسبَّابته ، هاتفًا فى حماس :

ـ بالضبط .

نقل (طارق) بصره بينهما ، قائلاً :

ـ أتشيران إلى الذئب ؟!

اندفع (طارق) الصغير يجيب :

ـ بالتحديد .

عقد (طارق) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ المفترض أنه زعيم زعماء المقاومة .

قال (محمود) فى حزم :

ـ المفتـــرض .

ثم مال نحو (طارق) ، مستطردًا :

ـ ولكن من جعل منه هذا ؟!

أجابه (طارق) فى حذر :

ـ باقى الزعمـــاء .

واستدرك فى سرعة ، وهو يشير بكفه :

ـ كمـــا يفترض .

سأله (طارق) الصغير بنفس الحماس :

ـ أى زعماء ؟!

عاد (طارق) يعقد ساعديه أمام صدره ، وكأنها وسيلته لتركيز أفكاره ، و(طارق) الصغير يكمل :

ـ الزعماء الآن هم (محمود) ، وأنـــا ، والدُّب ، وهو .. وكلانا هنا لا يقبل به زعيمًا للزعماء .

غمغم (محمود) الصغير فى حزم :

ـ وكلانا لا يثق به .

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

ـ هو من وضعكما فى منصبكما .

هزَّ (محمود) رأسه ، قائلاً :

ـ إنهما موقعان وليسا منصبين ، وإلا لكان من حقه عزلنا منهما ، كما وضعنا فيهما .

وهزَّ (طارق) الصغير كتفيه ، مكملاً :

ـ وهذا يفقدنا صفة الزعامة من أساسها .

نقـل (طـارق) بصره بينهما فى دهشـة ، قبل أن يبتسم مغمغمًا :

ــ رباه !.. لقد نضجتما كثيرًا بالفعل .

ثم حلّ ساعديه ، مضيفًا فى حزم :

ــ ولكنكما على حق .

تبادل (طارق) و(محمود) الصغيران نظرة ارتياح ، قبل أن يقول الأخير :

ــ إذن فأنت تتفق معنا .

أجابهما (طارق) فى خفوت :

ــ كلاً .. لست أتفق معكما .

بدت دهشة منزعجة على وجهيهما ، ولكنه شدّ قامته ، وأضاف بكل الحزم :

ــ بل أتفق مع صالح (مصر) .

أضاء وجهاهما ، وقال (طارق) الصغير فى حز وهو يمد يده إليـه :

ــ كلنا هذا الرجل .

التقت أياديهم ، وكأنها تعلن اتفاقهم فى جبهة واحدة ، قبل أن يقول (محمود) الصغير فى حزم :

ــ السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : كيف ننتزع ذلك الذئب ، من مقعد زعامة الزعماء ؟!

« هذا ما كنت أتوقّعه .. »

قالها الذئب فى توتر ، وهو يراجع تلك التسجيلات مع الدُب ، الذى ظلّ صامتًا محتقن الوجه ، والذئب يكمل فى غضب :

ــ ما إن اجتمعوا ، حتى قرّروا التخلُص منى .

والتفت إلى الدُب فى حركة حادة ، قائلاً :

ــ أليس هذا ما تنبأت به ؟!

غمغم الدُب بصوت مختنق :

ــ بلى .

مطّ الذئب شفتيه ، وقال :

ـ المعركة انتقلت من الخارج إلى الداخل ، ولولا أننى توقَّعت هذا ، وزرعت أجهزة التنصُّت فى ذلك المقر الجديد لحفيد (نور) ، لما علمت بخطتهم .

ورمق الدُّب بنظرة قاسية ، مضيفًا :

ـ وكنت تعارضنى فيما فعلت ، وتعتبره عملاً غير أخلاقى .

تمتم الدُّب ، بنفس الصوت المختنق :

ـ نعم .. كنت أعتبره كذلك .

جلس الذئب على مقعده ، وظل يحدج الدُّب بنظرة صامتة بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ والآن ، ماذا ينبغى أن نفعل ؟!

أجابه الدُّب فى صوت متحشرج :

ـ فيـــم ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ فيما سمعته .

صمت الدُّب لحظات ، محاولاً هضم ما يحدث ، والسيطرة على انفعاله ، وهو يجيب فى بطء :

ـ ينبغى أن نصارحهم فيما عرفناه ، و ...

قاطعه الذئب بصيحة هادرة غاضبة مستنكرة :

ـ نصارحهم ؟!..

وهب من مقعده بحركة حادة ، جعلت الدُّب ينتفض ، على الرغم منه ، وهو يكرِّر صارخًا :

ـ نصارحهم ؟!.. بعد كل ما سمعته ؟!

بدا الدُّب منكسرًا ، وهو يقول :

ـ إنها عائلة الأسطورة .

صاح فيه الذئب :

ـ إنهم متآمرون على المقاومة .

قال الدُّب فى مرارة :

ـ ليس على المقاومة .

شدَّ الذئب قامته ، فى اعتداد غاضب ، وهو يقول :

ـ أنا زعيم زعماء المقاومة ، والتآمر علىَّ هو تآمر على المقاومة كلها .

عاد الدُّب يكرِّر ، فى مرارة شديدة :

ـ إنهم عائلته .

انعقد حاجبا الذئب فى شدة ، وهو يقول :

ـ عليك أن تحسم قرارك .

وشد قامته فى قوة ، مضيفًا :

ـ إما أنا ... أو هم .

رفع الدُّب إليه عينين مفعمتين بالمرارة ، وهو يقول :

ـ إنهم ..

قاطعه الذئب بكل قسوة وصرامة الدنيا :

ـ متآمرون .

لم يحر الدُّب جوابًا ، إلا أن الصراع المشتعل فى أعماقه رسم نفسه فى وضوح على ملامحه ، فعقد الذئب ساعديه أمام صدره فى قوة ، وبدا شديد القسوة والصرامة ، وهو يقول :

ـ أنا أم هم ؟!

واشتعل عقل الدُّب كالجحيم ..

اشتعل دون أن يهدأ ، ولو لحظة واحدة ..

ودون أن يحسم أمره ..

فبالنسبة إليه ، كان هذا أصعب قرار فى حياته كلها ..

أصعب قرار كان يتحتم عليه اتخاذه ..

أصعب قرار ... على الإطلاق ..

* * *

« لست أرى شيئًا هنا .. »

قالها (نور) فى قلق حذر ، وهو يدير عينيه فيما يحيط به من أطلال ، ولكن (أكرم) قال فى حزم :

ـ إنه هنا .

سأله (نور) :

ـ هل تراه ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ كـلاَّ .

ثم استدرك فى حزم :

ـ ولكننى أعلم أنه هنا .

غمغم (نور) ، وهو يعيد فحص كل ما حوله :

ـ هذا لا يكفى يا صديقى .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم :

ـ اسمع يا (نور) .. عقب الاحتلال ، الذى كنت أنت بطله(*) ،

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغارة رقم (76) .

رحت أحارب من أجل البقاء ، وسط أطلال شبيهة بهذه ، وأيامها نمت فى أعماقى غريزة ، شبيهة بغريزة الحيوانات البرية .. غريزة تجعلك تشعر بوجود عدوك ، دون حتى أن تراه ، ومهما حاول أن يتوارى أو يتخفَّى .

شعر (نور) أنه صادق تمامًا فيما يقول ، فغمغم :

ـ وأنت تشعر أنه هنا ؟!

التقط (أكرم) نفسًا آخر أكثر عمقًا ، قبل أن يقول بكل الثقة والحزم :

ـ إنه هنـا .

أدار (نور) عينيه فيما حوله بتمعُّن ، مغمغمًا :

ـ أين ؟!

فى نفس اللحظة ، التى ألقى فيهـا سـؤاله ، انطلقت صرخة (سلوى) ..

ثم أعقبتها صرخة (نشوى) ..

وبكل انفعاله ، صرخ (نور) :

ـ إنه هناك .

مع صرخته ، اهتزت الأطلال من حولهما بغتة ..

ثم برز ذلك الشيء ..

الرهيـــب .

* * *

8 ـ الدفـاع والهجـوم ..

فى عصبية بالغة ، راح الذئب يدور فى مقر قيادة المقاومة ، وقد انعقد حاجباه ، وانقلبت سحنته على نحو عجيب ..

كان يدرك أنه يمرّ بأدق مرحلة فى حياته ..

أدقّها على الإطلاق .

عودة (نور) وفريقه ، ونزولهم إلى قَلْب الأطلال ، قَلَبَ كل شيء رأسًا على عقب ..

مجرَّد وجودهم داخل الحصن كان يفيده كثيرًا ..

كان يصنع الرمز ، الذى يحتاج إليه ، للإبقاء على جذوة الحماسة مشتعلة ، فى نفوس الجميع ..

وكان يراهن على أن أحدًا لن يسمح لهم بالخروج من الحصن قط ..

مصدره هناك أكّد له هذا ..

أكّد لهم أنهم سيبقون فى الحصن ..

إلى الأبد ..

وهذا بالضبط التوازن ، الذى كان يسعى إليه ..

أن يكونوا هناك ..

أن يصبحوا مجرَّد رمز ..

رمز يجعله هو أقوى ، وسط صفوف المقاومة ..

ويبقى عليه كزعيم للزعماء ..

يبقى على قوته ..

وسطوته ..

حتى عندما أتى بـ (طارق) و(محمود) الصغيرين ، كان يسعى للقوة ..

لاحتضان الرمز ..

فقط احتضانه ..

لقد درس شخصيتها جيدًا ، قبل أن يقدم على هذه الخطوة ..

راجع ما فيهما بمنتهى الدقة ..

ومنتهى التركيز ..

ولم يجد فى الملفين لمحة واحدة ، توحى بما صارا إليه ..

لقد كانا تمامًا كالباقين ، من قاطنى الأطلال ..

يقفان فى الظل ، ويتحاشيان المواجهات ما أمكنهما ..

وكان هو فى أمس الحاجة إلى رمز ، ينسى رجال المقاومة معه مصرع ثلاثة من زعمائهم ..

وهكذا أدار اللعبة ..

ومصدره المجهول داخل الحصن ، أكَّد له أنه يسير فى الطريق الصحيح ..

ولكن حدث ما ليس فى الحسبان ..

وضعهما فى موقع القيادة فجَّر داخلهما كل الصفات الوراثية ، التى اكتسباها من (نور) وعائلته ، وأيقظ الجينات النائمة والمستكينة ..

وأطلق طاقات زعيمين حقيقيين ..

فجأة ، تحوَّلا من كامنين إلى عملاقين ..

وهو الذى دفعهما إلى هذا ..

« غبـــى .. »

هتف بها مؤنبًا نفسه ، وهو يلكم الجدار بكل قوته ، قبل أن يتابع فى حـــدة :

ــ لقد أخرجت الجنى من المصباح .

وتوقَّف ، وانعقد حاجباه أكثر ، وبدا شديد الوحشية والقساوة ، وهو يضيف :

ــ وعليَّ أن أعيده .

ألقى نظرة سريعة على ساعة يــده الرفيعة ، ثم التقط نفسًا بالغ العمق ، قبل أن يقول :

ــ وهذا يتوقَّف على أن يكون الدُّب قد حسم أمره .

صمت لحظة ، ثم استطرد فى وحشية :

ــ لصالحى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها كلمته الأخيرة ، كان الدُّب يكمن خلف جدار قديم ، وسط الأطلال ؛ ليراقب ذلك المقر الخاص ، الذى لجأ إليه (محمود) و(طارق) الصغيران ..

كان ذلك الصراع الرهيب ما زال يشتعل فى أعماقه ، على الرغم من أنه قد أخبره أنه قد اختاره ..

وأنه سيطيع أوامره دون مناقشة ..

أيًّا كانت ..

ولكن ، وعلى الرغم من توقُّعه للمفاجآت ، جاءت أوامر الذئب لتصدمه بشدة ..

وبمنتهى العنف ..

والآن ، وهو يقف هناك ، على بعد أمتار قليلة من المقر ، كان يصارع ؛ ليحسم ذلك الصراع المخيف فى أعماقه ..

ومع تحسسه لمقبض خنجره المعلَّق فى حزامه ، حسم أمره ..

ثم شدَّ قامته ..

واتجه نحو المقر ..

كان يتحرَّك فى وضح النهار ؛ لذا فقد شدَّ قامته ، واتجه إلى الباب مباشرة ، وطرقه ..

مضت لحظات قبل أن يفتح (طارق) الصغير الباب ، وهو يقول فى دهشة حقيقية :

ــ الدُّب ؟!.. ما الذى أتى بك على هذا النحو ، فى وضح النهار ؟!

شدَّ الدُّب قامته أكثر ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه الثائرة ، وهو يقول :

ــ والدك أمرنى بحمايتكما .. أليس كذلك ؟!

قال (طارق) الصغير فى حذر :

ـ بلى ، ولكن ما الخطر الذى يحتاج إلى تواجدك الآن ؟!

تجاهل الدُّب سؤاله تمامًا ، ومدَّ عنقه ، محاولاً رؤية ما خلفه ، وهو يسأله :

ـ أين ابنا شقيقتك ؟!

أجابه (طارق) الصغير ، وقد تضاعف ذلك القلق العارم فى أعمق أعماقه :

ـ ليسا هنا .. لقد خرجا للقاء عمتى (مشيرة) .

سأله فى بطء :

ـ إذن فأنت وحدك .

سرى توتر شديد فى كيان (طارق) كله ، وهو يسأله فى حدة :

ـ ماذا تريد بالضبط أيها الدُّب ؟

استلّ الدُّب خنجره ، ودفعه أمامه إلى داخل المقر ، مجيبًا فى شراسة عصبية :

ـ سأخبرك .

قالها ، وصفق الباب خلفه فى عنف ..

ومن داخل المقر ، صدرت أصوات قوية ، توحى بنشوب قتال ..

قتال عنيف ..

شرس ..

ووحشى ..

* * *

أسرع الدكتور (راشد) الخطى ، عبر ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى حجرة القائد الأعلى ، ولم يكد يتجاوز إشارة حمراء خاصة ، تبدو أشبه برسم خطى على الجدار ، حتى صدر ذلك الصوت الأنثوى الآلى الهادى ، داخل حجرة القائد الأعلى ، يقول :

ـ الدكتور (راشد) ، مدير مركز الأبحاث .

عقد القائد الأعلى كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ دعيه يدخل فورًا .

مع انتهاء الأمر ، تموّج ذلك الجزء من الجدار ، ثم تلاشى ، ليظهر خلفه الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

ـ لقد طلبت مقابلتى على وجه السرعة ، يا سيِّدى القـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يحدِّق فى ذهول ، فى (محمود) ، الذى يقف ساكنًا جامدًا ، فى منتصف حجرة القائد الأعلى ، الذى قال فى صرامة مخيفة :

ــ انفض عنك دهشتك ، وادخل يا دكتور (راشد) .

تردَّد الدكتور (راشد) لحظات ، ثم عبر إلى الداخل ، وهو يغمغم ، فى لهجة حملت كل ذهول الدنيا :

ــ ولكن كيف ؟!

تموَّج الجدار من خلفه ، ليستعيد صلابته مرة ثانية ، والقائد الأعلى يقول بنفس الصرامة :

ــ ربما يدهشكم أمر كهذا .

ثم أدار عينيه إلى حيث يقف (محمود) ، مضيفًا :

ــ ولكنه لا يدهشنى .

نقل الدكتور (راشد) بصره ، فى توتر شديد ، بين جسد (محمود) الجامد ، ونظرات القائد الأعلى المخيفة ، قبل أن يكرِّر :

ــ ولكن كيف ؟!

تجاهل القائد الأعلى سؤاله ، وهو يقول :

ــ هل أعدتم تشغيل الدوائر الرقمية كما أمرت .

أجابه الدكتور (راشد) مضطربًا :

ــ فور تلقينا للأمر يا سيِّدى .

ثم عاد يسأل فى فضول شديد ، وهو يشير إلى (محمود) :

ــ كيف وصل إلى هنا ، دون أن يرصده أحد ؟!

عقد القائد الأعلى حاجبيه فى صرامة ، مجيبًا :

ــ ليس من الضرورى أن تعرف كل ما يدور هنا .

كان هذا يكفى لإخراس الدكتور (راشد) تمامًا ، إلا أن فضوله العلمى أعجزه عن الصمت ، فقال فى لهفة :

ــ ماذا أصابه ؟!..

تألقت عينا القائد الأعلى فى ظفر ، وهو يقول :

ــ رأى .

لم يكن للجواب أى معنى واضح ؛ لذا فقد تساءل الدكتور (راشد) فى توتر :

ــ رأى ماذا ؟!

جاءته الإجابة الثانية لتضاعف حيرته ألف مرة ، عندما قال القائد الأعلى فى بطء :

ــ ما لم يتصوَّر رؤيته .

حدَّق الدكتور (راشـد) فى جسـد (محمود) الجامد بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :

ـ وما الذى لم يتصوَّر رؤيته ؟!

استدار القائد الأعلى عائدًا إلى مكتبه ، وهو يجيب :

ـ الحقيقـة .

الأجوبة كلهـا لم تكن تحمل أى معنى واضح ، يمكنه تفسير ما حدث ، ولكنهـا دفعت الدكتور (راشد) إلى أن يتساءل فى حـذر :

ـ وهل تكفى أية حقيقة ، لتحويله إلى حالة الجمود هذه ؟!

جلس القائد الأعلى خلف مكتبه ، وعادت عيناه تتألقان ببريق ظافر مخيف ، وهو يجيب :

ـ إنه رد فعل مباشر للصدمة .

مرة أخرى ، لم يكن الجـواب شافيًا أو كافيًا ، فغمغم الدكتور (راشد) فى عصبية :

ـ صـدمة ؟!

هزَّ القائد الأعلى كتفيه ، وقال فى هدوء عجيب :

ـ إنكم لم تدركوا كل صفات ذلك (الزوريوم) الحيوى بعد .

الجواب هذه المرة بدا وكأنه يوجِّه تفكير الدكتور (راشد) ، إلى أن الأمر كله يتعلَّق بالصفات المجهولة لمادة (الزوريوم) الحيوى فحسب ..

ولكنه أيضًا لم يبد جوابًا كافيًا ..

أو شافيًا ..

ولكن الرجل أدرك أخيرًا أنه لن يحصل على أجوبة ..

أية أجوبة ..

لقد كان الرائد (هيثم) على حق ..

هناك شىء غامض ، يتعلَّق بالقائد الأعلى ..

شىء غامض ..

ومحيِّر ..

ومخيف ..

إنه يرى ما لا يرونه ، ويدرك ما لا يدركونه ، و ...

« لقد أحضرتك إلى هنا ، من أجل الأمر نفسه .. »

قالها القائد الأعلى فى صرامة ، فانتزع الدكتور (راشد) من أفكاره ، وجعله يقول فى توتر :

ــ أى أمر ؟!

بدا القائد الأعلى صارمًا قاسيًا ، وهو يجيب :

ــ (الزوريوم) .

انتفض جسد الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

ــ بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع .

أشار القائد الأعلى إلى جسد (محمود) الجامد ، وهو يقول :

ــ ماذا ستفعلون به هذه المرة ؟!

كان الدكتور (راشد) ينوى منحه اقتراحًا فوريًّا ، إلا أنه سيطر على لسانه ، وهو يقول فى حذر :

ــ فى انتظار أوامرك .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول :

ــ أريد وضعه فى تابوت من الرصاص .

كان هذا بالضبط ما ينوى الدكتور (راشد) اقتراحه ، وعلى الرغم من هذا فقد غمغم مندهشًا :

ــ من الرصاص ؟!

أكمل القائد الأعلى ، وكأنه لم يسمعه :

ــ تحت الأرض بثلاثة أمتار .

خُيِّل للدكتور (راشد) أنه لم يسمع العبارة جيِّدًا ، فمال برأسه نحو القائد الأعلى ، متسائلاً :

ــ عفــوًا .

ضرب القائد الأعلى سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا :

ــ أريده داخل تابوت من الرصاص ، مدفونًا على عمق ثلاثة أمتار ، تحت سطح الأرض .. أهذا أمر مفهوم ، أم يحتاج إلى تفسير ؟!

اعتدل الدكتور (راشد) بحركة حادة ، قائلاً :

ــ مفهوم يا سيِّدى .. مفهوم .

ثم ألقى نظرة حذرة على (محمود) ، قبل أن يستطرد :

ــ وحتى يتم تنفيذ الأمر ، ماذا سنفعل به ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ سيبقى هنا .

ردَّ الرجل فى ذهول :

ـ هنـا ؟!

أجابه بمنتهى الصرامة :

ـ نعم .. هنا .

تراجع الدكتور (راشد) فى خوف واضح ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .. كما تأمر .

لم يكد الجدار يتموَّج أمامه ، حتى وثب عبره فى سرعة ، وانطلق يعدو مبتعدًا ، وكأنما يطارده وحش رهيب ..

أما القائد الأعلى ، فقد ظلَّ صامتًا خلف مكتبه ، حتى توقَّفت تموّجات الجدار تمامًا ، ثم استدار فى بطء ، يلقى نظرة ظافرة على جسد (محمود) الجامد كالتمثال ، ثم نهض من خلف مكتبه فى بطء ، واتجه نحوه ، وهو يقول :

ـ الحقيقة موجعة .. أليس كذلك ؟!

دبّت الحيوية فجأة فى الجسد الجامد ، واستدار إليه (محمود) فى بطء ، وهو يقول فى مقت :

ـ لو أنها الحقيقة .

تألّقت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول ، مع ابتسامته الظافرة :

ـ أنت تدرك أنها الحقيقة .

قال (محمود) فى توتر :

ـ ربما زرعتها فى رأسى فحسب .

قال القائد الأعلى فى سخرية :

ـ حقًّا ؟!

بدا (محمود) عصبيًّا ، وهو يقول :

ـ لا تنس أننى جبت كل دوائركم الرقمية ، و ...

قاطعه فى حسم :

ـ أنت تعلم أنك لن تجد حرفًا واحدًا من الحقيقة ، فى نظامنا كله .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى سخرية :

ـ أعنى النظام الذى يمكنك ولوجه بالطبع .

قال (محمود) ، وهو يحاول عبثًا تحريك ذراعيه أو ساقيه :

ـ وماذا عن النظام الآخر ؟!

لوّح بيده ، قائلاً :

ـ لن يمكنك الولوج إليه .

كرَّر (محمود) فى إصرار :

ـ ماذا عنه ؟!

أطلق القائد الأعلى ضحكة ساخرة ، وهو يعود إلى ما خلف مكتبه ، ويقول فى بطء :

ـ لن يمكنك كشف أغواره ... أبدًا .

هتف به (محمود) فى حدة :

ـ أنت لست بشريًا .

ابتسم القائد الأعلى فى سخرية أكثر ، وهو يقول :

ـ ألديك جديد ، أم أن هذا كل ما تجيده ؟!

قال (محمود) فى غضب ، يثبت أنه يستعيد طبيعته الآدمية بالفعل :

ـ لن تنجو بفعلتك هذه .

هزَّ القائد الأعلى كتفيه فى استهتار ، قائلاً :

ـ ومن سيمنعنى ؟!.. ألم تنتبه بعد إلى أنك عاجز عن تحريك أى شىء فى جسدك ، باستثناء عنقك وعينيك ولسانك ؟!.. ألم تسمع بنفسك المصير الذى أعددته لك ؟!

ومال على سطح مكتبه ، مضيفًا فى تشفٍّ :

ـ إنها بضع ساعات ، وستصبح مدفونًا داخل صندوق من الرصاص ، على عمق ثلاثة أمتار ، فى باطن الأرض .

ثم التقط نفسًا قويًا ، وعاد يتراجع مكملاً :

ـ ولأننى أعتبرك حالة خاصة جدًا ، فسأعمل على أن تستعيد حالة نصف الوعى هذه ، داخل تابوتك المصنوع من الرصاص .. ولأن جسدك ليس بشريًا ، ومصنوع من مادة حيوية طويلة العمر ، فستبقى واعيًا داخل سجنك ، أو قبرك الجديد ... إلى الأبد .

بدا مصيرًا مفزعًا ، حتى بالنسبة لـ (محمود) ، الذى قال فى غضب :

ـ هذا لن ينهى الموقف .

قال القائد الأعلى فى استهتار :

ـ ومن يرغب فى إنهائه ؟!

هتف (محمود) ، وكأنه يستفزه :

ـ الرفاق سيواصلون القتال ، حتى آخر رمق .

عاد القائد الأعلى يميل نحوه ، قائلاً :

ـ هذا لو أنه ما زال لديهم رمق .

ثم استدار ، ومرَّر يده فوق دائرة حمراء ، على سطح مكتبه ، فتألقت منطقة فى فراغ الحجرة ، ثم ظهرت عندها شاشة هولوجرامية ..

وبمنتهى اللهفة ، أدار (محمود) عينيه إلى الشاشة الهولوجرامية ، فى نفس اللحظة التى قال فيها القائد الأعلى ، فى سخرية شامتة :

ـ لو أنك أحسنت رؤية هذا ، فستدرك أن نهاية رفاقك قد كُتِبَتْ بالفعل .

واتسعت عينا (محمود) فى ارتياع ..

فما قاله القائد الأعلى كان صحيحًا تمامًا ..

إنها النهاية ..

النهاية بلا ريب .

* * *

انتهى الجزء الرابع بحمد الله

ويليه الجزء الأخير بإذن الله

(نهاية العالم)

ملف المستقبل

صدر من هذه السلسلة

1 — لعنة الموت .
2 — اختفاء صاروخ .
3 — مدينة الأعماق .
4 — غزاة الفضاء .
5 — القنبلة الفاسدة .
6 — زائر من المستقبل .
7 — جنون طفرة .
8 — الارتجاج القاتل .
9 — صراع الحواس .
10 — الفارس المجهول .
11 — منطقة الرعب .
12 — طريق الاشباح .
13 — الزمن المفقود .
14 — نداء النجوم .
15 — مثلث الغموض .
16 — الوباء الجهنمي .
17 — نبض الخلود .
18 — ظلال الفزع .
19 — عيون الهلاك .
20 — العقول المعدنية .
21 — أطياف الماضي .
22 — ليلة الرعب .
23 — بصمات السحرة .
24 — الشيء الأسود .
25 — صحوة الشر .
26 — لعنة الفضاء .
27 — الفخ الزجاجي
28 — النهر المقدس .
29 — الإيقاع المفترس .
30 — النار الباردة .
31 — رنين الصمت .
32 — الأفق الأخضر .
33 — حارس الأرواح .
34 — وحش المحيط .
35 — مرآة الغد .
36 — الموت الأزرق جـ١ .
37 — السماء المظلمة جـ٢ .
38 — من وراء النجوم جـ٣ .
39 — الثلوج الساخنة .
40 — علامات الخوف .
41 — مملكة النار .
42 — الأرض الثانية .
43 — ثقب في التاريخ .
44 — الخارقون .
45 — السحاب الأحمر .
46 — الكوكب الملعون .
47 — المقاتل الأخير .
48 — سجن القمر .
49 — غزو الأرض .
50 — الأسطورة .
51 — الخلية القاتلة جـ١ .
52 — العدو الخفي جـ٢ .
53 — أمطار الموت .
54 — عبر العصور جـ١ .
55 — أسرى الزمن جـ٢ .
56 — شيطان الأجيال جـ٣ .
57 — منطقة الضياع .
58 — معركة الكواكب جـ١ .
59 — جحيم أرغوان جـ٢ .
60 — أرض العمالقة .
61 — الكابوس .
62 — سادة الأعماق جـ١ .
63 — المحيط الملتهب جـ٢ .
64 — السيف البلوري جـ١ .
65 — أبواب الموت جـ٢ .
66 — الشمس الزرقاء .
67 — شيطان الفضاء .
68 — عقول الشر .
69 — العالم الآخر .
70 — الستار الأسود .
71 — أمير الظلام .
72 — ابن الشيطان جـ١ .
73 — مبعوث الجحيم جـ٢ .
74 — الصراع الجهنمي جـ٣ .
75 — الجولة الأخيرة جـ٤ .
76 — الاحتلال جـ١ .
77 — المقاومة جـ٢ .
78 — الصراع جـ٣ .
79 — التحدي جـ٤ .
80 — النصر جـ٥ .
81 — رمز القوة .
82 — حصن الأشرار .
83 — أرض العدم .
84 — كنز الفضاء .
85 — الأمل الفيروزي .
86 — الإمبراطور .
87 — نصف آلي .
88 — الانفجار الحي .
89 — البركان .
90 — رعب في الأعماق .
91 — ضد الزمن .
92 — الرحلة الرهيبة .
93 — نقطة الصفر .
94 — الساحر .
95 — القوة السوداء .
96 — بذور الشر .
97 — لهيب الكواكب .
98 — نيران الكون .
99 — الانفجار .
100 — الزمن - صفر .
101 — الحرباء .
102 — النوم الرهيب .
103 — الأرض المفقودة .
104 — أنياب ومخالب .
105 — وجوه من ثلج .
106 — بلا أثر .

سري جداً !!

107 — لعنة الدم .
108 — مصيدة الفضاء .
109 — الدوامة .
110 — الفجوة السوداء .
111 — كوكب الحظائر .
112 — بصمة الموت .
113 — حرب الفيروسات .
114 — الرعب .
115 — العدو الخارق .
116 — العاصفة النووية .
117 — فارس الزمن .
118 — ألف عصر .
119 — زمن الدم .
120 — الفارس الثاني .
121 — المجهول .
122 — الظلال الرهيبة .
123 — دائرة الظل .
124 — الغزاة .
125 — كرة النار .
126 — لهيب الرعب .
127 — طريق النجوم .
128 — الزمن الآخر .
129 — وراء العقل .
130 — الهوة .
131 — العاصفة .
132 — الرمال الحية .
133 — نقطة التماس .
134 — سادة الكون .
135 — فودو .
136 — الأحراش الفسطورية .
137 — الشر .
138 — الأعماق .
139 — حرب الأشباح .
140 — فرقصة الزمن .
141 — التعاويذ .
142 — الذياب .
143 — بلا جسد .
144 — العقل .
145 — المجسم الرهيب .
146 — الهاوية المظلمة .
147 — الصخوة الكبرى .
148 — عودة الشر .
149 — المخ .
150 — آخر العمالقة .
151 — بلا وعي .
152 — الفيروس .
153 — المفقودون .
154 — الزئبق المجلف .
155 — الكهف .
156 — عالم جديد .
157 — أطلال الماضي .
158 — حرب الغد .
159 — نيران المستقبل .

رقم الإيداع ٣٤٧٨/٧٨
ISBN ٩٧٧ - ٣٧٨ - ٢٤٨ - ٠٣

نيران المستقبل

- صراع رهيب ، ذلك الذى خاضه (نور) وفريقه ، حتى أمكنهم الخروج من سجن المخابرات التكنورقمية ..
- وبين الأطلال ، بدءوا مرحلة جديدة .. مرحلة مقاومة لخصم يجهلونه ، وعدوّ لا يعلمون عنه شيئًا ..
- وعلى الجانب الآخر للأسوار ، توالت مفاجآت رهيبة ، واشتعلت نيران مخيفة .. نيران الخطر .. نيران المستقبل ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل .

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

159

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع